الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة تلمسان
كلية الآداب واللغات
قسم اللغة والأدب العربي
تخصص: حضارة عربية إسلامية

2013
Fac.Lettres.165

مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماستر

الحياة الاقتصادية للدولة الزيانية

إعداد الطالبة: سميحة سعادي
إشراف الدكتور: هشام خالدي

السنة الجامعية
1433_1434هـ/2012-2013م

THS_955-45/51

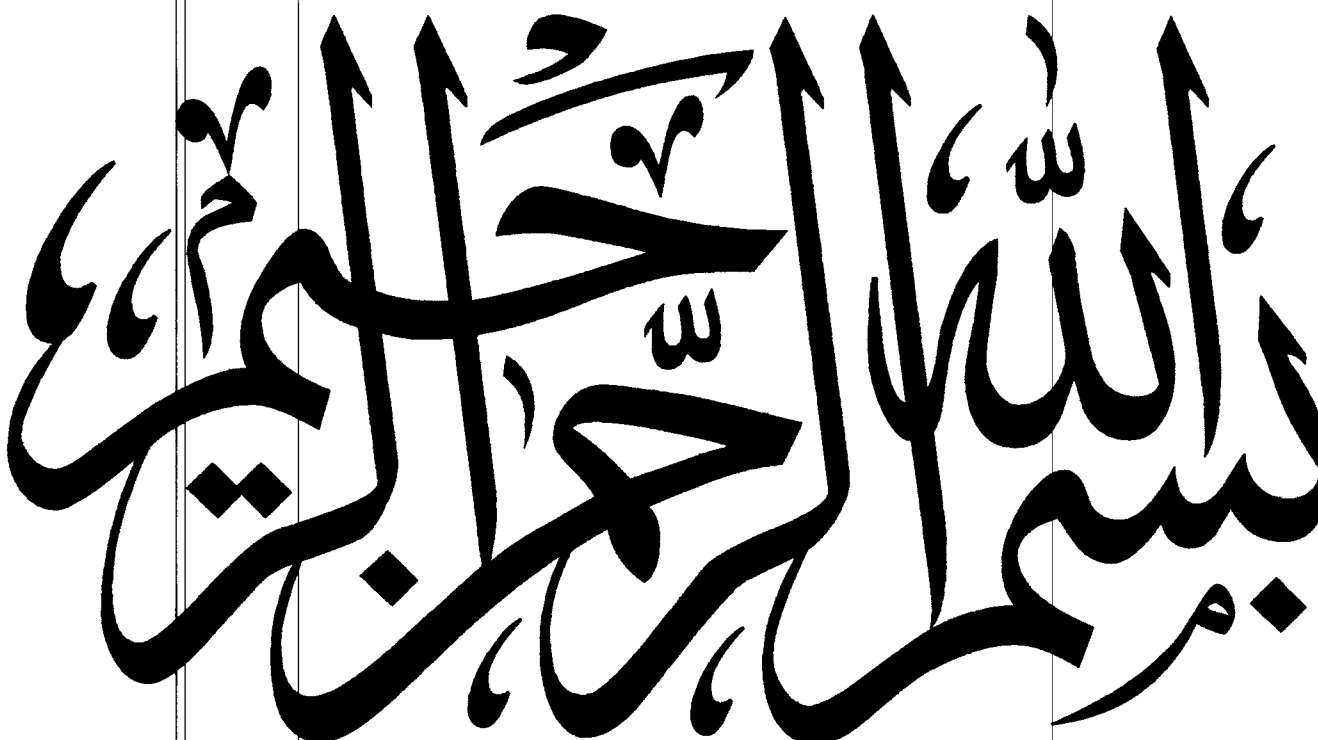
بسم الله الرحمن الرحيم

دعـــاء

اللهم إني أسألك علماً نافعاً ..... ورزقاً طيباً ....

وعملاً متقبلاً

اللهم إني أعوذ بك من قلب لا يخشع .....

ومن دعاء لا يسمع ومن نفس لا تشبع ....

ومن علم لا ينفع

ربي لا تخدعني أصاب بالغرور إذا نجحت ولا أصاب

باليأس إذا فشلت .... بل ذكرني دائماً أن الفشل هو الجانب الذي يسبق النجاح

ربي اشرح لي صدري ويسر لي أمري واحلل عقدة

من لساني يفقهوا قولي.

ربي زدني علماً

إهـــداء

الحمد لله الذي أنار لنا درب العلم و المعرفة و أعاننا على أداء هذا الواجب ووفّقنا إلى إنجاز هذا العمل ،أبتدئ بشكر " المولى " عزّ وجل الذي رزقني العقل وحسن التوكّل عليه سبحانه و تعالى على نعمه الكثيرة التي رزقني إيّاها.

* إلى من عمل بكدّ في سبيلي و علّمني معنى الكفاح، إلى من علّمني العطاء بدون انتظار و أحمل اسمه بكلّ افتخار" والدي " الكريم أدامه الله لي.

* إلى معنى الحبّ، إلى معنى الحنان والتفاني، إلى بسمة الحياة وسرّ الوجود، إلى من كان دعائها سرّ نجاحي و حنانها بلسم جراحي " أمّي" الحبيبة.

* إلى سندي و قوّتي، إلى من أنار كلّ خطوة في دربي، لتذلّل كل عائق أمامي، إلى الروح التي سكنت روحي، "زوجي" العزيز.

* إلى عنوان الطفولة، إلى من رسمت بسمة أبديّة على شفتيّ، إلى أجمل وردة تفتّحت بداري، إلى أجمل هبة و هديّة من عند الله لي، إلى فلذة كبدي رعاها الله لي، صغيرتي "ملاك".

* إلى من أرى الأمل بعينيه والسعادة في ضحكته، إلى الوجه المفعم بالبراءة أخي "حسان"، نور الله دربه.

* إلى توأم روحي و رفيقة دربي، إلى صاحبة القلب الطيّب و النوايا الصادقة، أختي و زوجها وابنتها "هند" حفظها الله من كلّ شرّ.

* إلى عائلة زوجي كبيرهم وصغيرهم وعلى رأسهم الوالدين الكريمين أطال الله في عمرهما ، و أخصّ بالذكر أخواته "ربيعة" التي لم تبخل عليّ بمساعداتها جزاها الله كلّ خير ، و"فريدة" و "زهيّة".

في هـذه اللحظـات يتوقـف اليراع ليفكر قبل أن يخط الحروف ليجمعها في كلمات...تتبعثر الحرف وعبثا أن يحاول تجميعها في سطور،سطورا كثيرة تمدّ في الخيال ولا تبقى لنا في نهاية المطاف إلاّ قليلا من الذكريات و صور تجمعنا برفاق كانوا إلى جانبنا ، من أحببتهم و أحبّوني "صدقاتي" الأعزّاء، والواجب علينا شكرهم ووداعهم ونحن نخطوا خطوتنا الأولى في غمار الحياة .

نتقدّم بجزيل الشكر والعرفان إلى من أشعل شمعة في دروب عملنا و إلى من وقف على المنابر وأعطى من حصيلة فكره لينير دربنا إلى "الأساتذة الكرام" في كلية الأدب والحضارة.

إلى كلّ من ساعد من قريب أو من بعيد في إتمام هذا العمل المتواضع...

شكري الجزيل وامتناني لكم جميعا.

سميحة

تشكرات

بسم من خلق الإنسان و علمه البيان و الصلاة و السلام على من انشقت منه الأسرار و انفلقت منه الأنوار و ارتفعت الحقائق و تنزلت على آدم فأعجزت منه الخلائق .

* أولا نشكر الله و نحمده الذي أعطانا الإرادة و العزيمة لتحقيق مبتغانا ،

* أتقدم بالشكر و العرفان إلى من أشعل شمعة في دروب علمنا و وقف على المنابر وأعطى من حصيلة فكره لينير دربنا ، إلى الأساتذة الكرام بجامعة أبي بكر بلقايد قسم أدب وحضارة كلّ بإسمه و نخص بالذكر الأستاذ المشرف الدكتور : خالدي هشام الذي لم يبخل عليّ بنصائحه وتوجيهاته .

* كما أتقدم بجزيل الشكر و العرفان مسبقاً إلى أساتذتنا - أعضاء اللجنة - الموقّرة .

و نشكر من خالص قلبنا كل من كان همّه في هذه الدنيا حمل رسالة العلم و المعرفة و تبليغها للأجيال ليبقى العلم وحده المسعى الحقيقي لتحقيق الأمنيات و الارتقاء إلى أعلى المراتب في الدنيا و الآخرة مصداقا لقوله تعالى :

"إنما يخشى الله من عباده العلماء"

مقدمة

مقدمة :

يعتبر العهد الزيّاني العصر الذهبي للمغرب الأوسط ففيه عرفت البلاد أوج ازدهارها في جميع مناحي الحياة ، حيث تطورت فيه سياسياً ونمت عمرانياً وازدهرت فكرياً وانتعشت إقتصادياً ، فالدولة الزيّانية هي من أهمّ الدّول التي نشأت على أرض الجزائر، فاستمرت أكثر من ثلاثة قرون 1232- 1562.

كانت هذه الدولة تتوسط دولتين قويتين، الدّولة الحفصية من الشرق والدولة المرينية من الغرب، وكانت كل واحدة منهم تسعى إلى مدّ نفوذها وتطمح إلى توحيد المغرب تحت رايتها ممّا أدى إلى نشوب الحروب بها ، والمتصفح لأطوارها التاريخية يلمس ذلك الإضطراب وتأثيره على ميادينها الحساسة ، ولكن رغم ذلك يلحظ أنّها عرفت حضارة كاملة عمل الجميع على تقويتها ، وتدعيمها ، وتشيد صرحها ، الأمر الذي ساهم في تطوير حياتها الثقافية و الإقتصادية ، وترك بصماتها في هياكلها العمرانية .

فإذا كان الجانب الثقافي والاجتماعي قد حظي بالعناية من طرف الباحثين الذين أولوا إهتمامهم بها ، فإنّ الجانب الإقتصادي بقي بعيداً بشكل أو بآخر عن مناطق تسليط الضوء. لهذا إخترنا أن يكون موضوع البحث في الدولة الزيّانية يخص الحياة الإقتصادية بها ، كما بودّنا الإسهام ولو بالشيء القليل في إحياء هذا التراث وإبراز المعالم الحضارية لعاصمة الثقافة الإسلامية ومهد الفنون والحضارة تلمسان الزيّانية .

لاشكّ أنّ الإقتصاد هو عصب الحياة بالنسبة إلى أي نظام سياسي ذاك أنه هو الذي يحدد مدى ثراء الدولة أو فقرها ولاشكّ أيضاً أن الحياة الإقتصادية تستمدّ وجودها من إمكانيات إقتصادية تتماشى بها المؤسسات المختلفة في الدولة سواء فيما يتّصل بالزراعة أو التجارة أو الصناعة .

وعليه يمكننا طرح بعض التساؤلات منها:

- ❖ كيف كانت الأحوال الإقتصادية في العاصمة الزيانية للمغرب الأوسط ؟ أو بمعنى آخر إلى أي مدى يمكن تصور الحياة الإقتصادية في العهد الزياني؟ هل دفعت المقوّمات والدعائم الإقتصادية بها إلى إزدهارها ؟ وما هي هذه المقومات والدعائم ؟

وقد تمّ تقسيم هذا البحث إلى فصلين يتقدمهما مدخل معنوناً بنشأة الدولة الزيانية فتطرقنا فيه إلى التعريف ببني زيان ونشأة المملكة الزيانية والتعرّف أيضاً على حدودها الجغرافية وعناصر المجتمع الذي كان يقطنها حينها ، يليه الفصل الأول الذي تناول مقوّمات الحياة الإقتصادية للدولة الزيانية الطبيعية بما فيها من مساحة وتضاريس وجبال أيضاً البشرية و المهنية التي تعرض الأصول العرقية للمجتمع التلمساني والحرف والصناعات الموجودة حينها ، ثمّ بعد ذلك تعرّفنا على العملة النقدية للمملكة الزيانية من دينار ودرهم وختمناه بنماذج من كتابات موضوعية على السكة الزيانية .

أمّا الفصل الثاني تطرق إلى الدعائم الإقتصادية للمملكة الزيانية فاستهليناه في دراسة كل من الفلاحة التي تعرّضنا من خلالها إلى نظام ملكية الأراضي ، أيضاً الثروة الزراعية و الثروة الحيوانية ، ثم الصناعة التي رأينا من خلالها العوامل المساعدة على إزدهارها ، والمراكز الصناعية ، ثمّ تناولنا

بعض المنتوجات المعروضة في السوق الزيانية ، ثمّ تليها التجارة التي تعرّفنا فيها على أنواع التّجار وكيف كانت التجارة مع السودان الغربي وما هي صادرات وواردات الدولة الزيانية.

إنتهاءاً بالخاتمة التي وضعت كتقييم لموضوع الحياة الإقتصادية في عهد الدولة الزيانية والتي تضمنّت مجموعة من النتائج التي إستخلصناها من خلال دراستنا لهذا الموضوع.

عليه فقد كان لزاماً علينا في دراستنا أن نتبّع المنهج الوصفي والتاريخي في سرد الحقائق والوقائع التاريخية ووصفها عبر حقبها الزمنية ، كمل تمّ دمج المنهج التحليلي في بعض الأحيان الذي يعتمد على المقارنة بين النصوص وتحليلها تحليلاً موضوعياً , ولانجاز هذا البحث إستندنا على مجموعة من الكتب التي أرّخت بهذه الفترة ، من بينها إعتمدنا على ثلاث مصادر رئيسية ، فكأي باحث في تاريخ المغرب لا يمكن الإستغناء عن مؤلف عبد الرحمان ابن خلدون المسمى" العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر " ومن المصادر التي إعتمدنا بشكل كبير لإحتوائها على معلومات تخص الجانب الفلاحي نجد مصنف الحسن الوزان بجزئيه ، وكتاب " الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية في المغرب الأوسط خلال القرنين الثالث و الرابع الهجريين " لمؤلفه جودت عبد الكريم يوسف .

في الأخير تجدر الإشارة إلى أنّ دراسة الحياة الإقتصادية للمملكة الزيانية ، رغم هذه المساهمة المتواضعة المحتشمة يضلّ بحاجة إلى المزيد من البحث ، فإن أخطئنا فمن أنفسنا ، وإن أصبنا فالفضل كلّه يعود لله جلّ وعلى.

الطالبة: سعادي سميحة

تلمسان يوم : 16 ماي 2013

المدخل

نبذة تاريخية حول المملكة الزيانية

- التعريف ببني زيّان (أصل بني عبد الواد)
- نشأة الدّولة الزيّانية
- حدود الدولة الزيّانية
- نظام حكمها

منذ الفتح الإسلامي تعاقب على حكم المغرب العربي عدّة دول إسلامية ، فكانت تارة تحت راية موحّدة ، وأحياناً أخرى كان لكلّ دولة رايتها الخاصّة بها ، بداية من الدّولة الرّستمية التي تعدّ أوّل دولة إسلامية بالمغرب العربي إلى الدّولة الإدريسية والفاطمية ثمّ الحمّادية والمرابطون وصولاً إلى الدّولة الموّحدية التي تعدّ بدورها أكبر دولة إسلامية التي وحّدت المغرب العربي تحت سلطة واحدة مستقلّة كل الإستقلال عن المشرق العربي، لكنّها إن ما لبثت حتّى إنهارت لتحلّ محلّها مجموعة من الدّول على حكم المغرب العربي هي : **الحفصيون في تونس ، المرينيون في المغرب** و**الزيّانيون في الجزائر** الّتي هي محلّ دراستنا .

❖ أولاً : التعريف ببني زيّان :

- **أصل بني عبد الواد*** :

بنو عبد الواد ، هم فرع من فروع الطبقة الثانية من قبيلة زناتة البربرية وموطنها الأصلي المغرب الأوسط[1]، وفي ذلك نجد أن ابن خلدون يقول:" والأكثرُ منهم بالمغرب الأوسط حتّى أنّه ينسب إليهم ويعرف بهم فيقال وطن زناتة "[2] وهي أقوى القبائل البربرية عدداً وعدّة[3].

وأصل تسميتهم عائد إلى جدّهم عابد الوادي ، وتنسب إلى **مادغيس الأبتر**، بينما يرجع يحي ابن خلدون إنتسابهم إلى" بُرْبَنْ قَيْس عِيلاَنْ بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان" [4].

---

*: بنو عبد الواد: هم فرعان . أحدهما بنو عبد الواد ؛ وبهذا الإسم عرف المجتمع تغليباً، وأصله عابد الوادي، رهبانية عرف بها جدّهم، من ولد سجيح بن واسين ، بن يصلتين، بن مسرى بن زكريا ، بن ورسيج بن مادغيس الأبتر، ابن بر، إبن قيس عيلان، بن مضر، بن نزار بن معد، بن عدنان، وفي سجيح يجتمع نسبهم ونسب فرعائهم بني مرين ، ينظر ، بغية الرواد في ذكر الملوك من بني عبد الواد ، يحى ابن خلدون ، تقديم وتحقيق عبد الحميد حاجيات . ج 1 ، الطباعة الشعبية للجيش ، الجزائر 2007، ص 126.

(1): القبائل العربية في بلاد المغرب في عصري الموحدين وبني مرين ، مصطفى أبو ضيف أحمد عمر، ديوان المطبوعات الجامعية الجزائر 1982،ص 154.

(2): العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، ابن خلدون عبد الرحمان ، مطبعة بيت الأفكار، ج 13 ، ص 149 ، الطبعة الأولى ، ديسمبر 2005 ، ص 45.

(3): الدّولة الزيّانية في عهد يغمراسن ، دراسة تاريخية وحضارية (633-681 هـ/1235-1282 م) ، د.بلعربي خالد ، الطبعة الأولى، ديسمبر 2005، ص 45.

(4): تاريخ دولة الأدارسة ضمن كتاب نظم الدر والعقيان في بيان شرف بني زيّان ، التنسي أبو عبد الله ، تحقيق الأستاذ عبد الحميد حاجيات، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر 1984 ، ج 1 ، ص 190.

ونجد أن بنو عبد الواد ينقسمون إلى ستّة بطون أهمّها بنو يَاتْكِينْ وبنو لَلّوْ، ومَصُوجَةُ وبنو تُومْرَتْ، وبنو رُصْطُفْ، ويضاف إليهم بنو القاسم[1]. الذي ينسب إليهم بنو زيّان حكّام الدّولة الزيّانية الذين استوطنوا الصحراء وظلّوا ينتجعون مراعيها من سجـــلـــماسة إلى زابْ الإفريقية[2] ، ويقول عنهم عبد الرحمان ابن خلدون أنّهم كانوا أشدّ بطون بني عبد الواد قوّة وأعظمهـــم عصبيّة ، ويزعم بنو القاسم أنّهم من أولاد القاسم بن إدريس ، إلاّ أنّنا نجد يغمراسن بن زيّان مؤسّس الدّولة الزيّانية لم يقم بتأكيد نسبه إلى القاسم بن إدريس الهاشمي[3] حيث ردّ على ذلك بقوله:" إن كان هذا صحيحاً فينفعنا عند الله ، وأمّا الدنيا فإنّما نلناها بسيوفنا "[4].

كما أنّ التنسي أيضاً يُرجع إنتساب بنو عبد الواد إلى القاسم بن إدريس وذلك من قوله :" لمّا تغلّب جيش المنصور بن أبي عامر على الحسن بن قنون بن محمد بن القاسم بن إدريس بن إدريس آخر ملوك الأدارسة ، إفترق بنو أبيه غرباً ، شرقاً وشمالاً وجنوباً ، فكـــان القاسم هـــذا ممّـــن أصحـــر ، وإنصاف إلى قبيل بني عبد الواد فأكرموا نزله ومثواه، وعظموا قدره وشرفه، فتزوّج فيهم ونسل بينهم ذريّة كثيرين " [5].

(1): الدّولة الزياينة في عهد يغمراسن ، دراسة تاريخية وحضارية (633-681 هـــ/1235-1282 م) ، د. بلعربي خالد، ص 45 .

(2): العبر ، ينظر يحي ابن خلدون ، ج 1 ، ص 186.

(3): الدّولة الزيّاينة في عهد يغمراسن ، د. بلعربي خالد، ص 46 .

(4): العبر ، ج 7 ، ص 72.

(5): بغية الرواد، يحي ابن خلدون ، ج 1 ،ص 190.

ثانياً : نشـأة الدّولـة الزيّانية :

بنو عبد الواد كانوا من القبائل الرحّل التي كانت تجوب صحراء المغرب الأوسط ، وكانوا ينتجعون المراعي الخصبة، ويتردّدون على المناطق التي تقع ما بين فجيج ومديونية وجبل راشد[1].

وفي عهد المرابطين إنتقل بنو عبد الواد إلى غرب المغرب الأوسط، تحت ضغط الهلاليين، ولماّ وصل الموحّدون بقيادة عبد المؤمن بن علي (524–558هـ) / (1130–1163م) إلى هذه الدّيار بجيوشه إعترضتهم زناتة وفي مقدمتهم بنو عبد الواد فكانت بينهم حروب مشهورة وعلى إثر ذلك إنحاز بنو عبد الواد إلى الموحّدين[2]، فكانوا سبّاقين إلى طاعتهم، وصاروا من أخلص قبائل زناتة ولاءاً لهم[3] ورئاستهم كانت في بني القاسم لعدوي بن يكنيمن، وعبد الحق بن منغفاذ فمنحهم الموحّدون مكافأة لموقفهم، ومساعدتهم في حروبهم ضدّ القبائل المعارضة ومدّ نفوذهم على ضواحي بلاد المغرب الأوسط وبلاد زناتة التي كانت لبني ومانو وبني يلومي وأحواز مدينة تلمسان من البطحاء شرقاً إلى نهر ملوية غرباً، فَضَمِنَ بذلك بنو عبد الواد لأنفسهم الإستقرار في هذه السهول الغنيّة ولماشيتهم المراعي الشاسعة وصاروا قوّة معتبرة في المنطقة ، فأتّخذهم الموحّدون أنصاراً وحماة للدولة بإقليم تلمسان [4].

ولمّا ضعف أمر الدّولة الموّحدية بالمغرب فإنّ بني عبد الواد الذين كانوا يحكمون بإسمهم تلمسان وولايتها شقّوا عصا الطّاعة ونبذوا دعوتها معلنين إستقلالهم بالمغرب الأوسط متّخذين من تلمسان عاصمة لمملكتهـــم ، وقد تـــوارث بنو عبد الواد عرشها أزيد من ثلاثة قرون إلاّ أنّ مملكتهم هذه كانت معرّضة دائماً للغارات والغزو من طرف جيرانهم الحفصيين ملوك إفريقيـــة من الناحيـــة

(1): بغية الرواد، يحي ابن خلدون ، ج 7 ، ص 148.

(2): تلمسان في العهد الزيّاني (دراسة سياسية، عمرانية ، إجتماعية ، ثقافية)، د.عبد العزيز فيلالي ، الجزء الأوّل ، موفم للنشر والتوزيع ، الجزائر 2002، ص 15.

(3): التاريخ السياسي لمملكة تلمسان في عهد بني زيّان ، د. لخضر عبدلي، ، صفحات خالدة من تاريخنا المجيد ، أستاذ التاريخ الإسلامي والحضارة الإسلامية بقسم التاريخ بكلية الآداب ، جامعة تلمسان ، 2007 ، ص 37.

(4): نظر، تلمسان في العهد الزيّاني (دراسة سياسية، عمرانية ، إجتماعية ، ثقافية) ، عبد العزيز فيلالي، ص 15، تاريخ الدّولة الزيّانية في عهد يغمراسن، د.لخضر عبدلي، مصدر سابق ، ص 37.

الشرقية والمرينيين ملوك المغرب الأقصى من النّاحية الغربية وكان هؤلاء أي بنو مرين أكثر قوّة وأشدّ بأساً فكانت قاعدة ملكهم فاس أقرب إلى تلمسان من تونس قاعدة بني حفص. الشيء الذي مكّن المرينيين من الإستلاء على بني عبد الواد مرتين بل عدّة مرات رغم مقاومتهم العنيفة ودفاعهم الشديد عنها، وقد وقع إستلائهم عليها المرة الأولى عام (737هـ/1337م) ثمّ أخرجهم منها بنو عبد الواد عـــام (349هـ/1348م) .

لكن بنو مرين رجعوا إليها مرة ثانية وفتحوها عام (753هـ/1352 م) وبقوا بها إلى أن أخرجهم منها نهائياً أبو حمّو موسى الزيّاني عام (760هـ/1259م) وهذا ما جعل العهد العبد الوادي الزيّاني ينقسم إلى قسمين بل إلى ثلاثة أقسام[1]: العهد العبد الوادي الأوّل ثمّ فترة السلطانيْن أبي سعيد وأبي ثابت التي دامت أربعة أعوام ثمّ العهد العبد وادي الثاني أو بعبارة أصحّ عهد بني زيّان.

فالتّاريخ يحدّثنا أنّ الشعوب والمجتمعات لا يتوحّد شملها ولا ينتظم سيرهـــا ولا تبنـــي كيانهـــا و حضارتها إلاّ بوجود طليعة من بين أبنائها، وأنّ هذه الطليعة لا تبرز ولا يكون لها الدور الفعّال إلاّ ببروز رجل يهديها ويرشدها ، وقائد يقودها نحو سبل الطليعة والأعمال البواكر بدون تردد أو أحجام ، يقول فيصدق ، ويأمر فيطاع ، ولا بدّ أن تجتمع في شخصية القائد صفات عالية ومتعدّدة ، أقل ما توصف بها شخصية فذّة في العلم والذكاء والنبوغ ، وفي الشجاعة والإقدام على التّضحية ، وتلك هي بعض صفات العباقرة والعظماء الذين تحدث عنهم التاريـــخ في كثيـــر مـــن الأحيـــان والعصور لدى أمم شتّى.

ومن ضمن هذه الشخصيات الخالدة التي اندرجـــــت ضمن المسيـــرة التاريخيـــة [2] ألا وهـــــو" **يغمراسن بن زيّان بن ثابت بن محمد**[3] "(646-681هـ)/(1248-1281م) من بني طاع العبد الوادي الزيّاني ، مؤسس الدّولة الزيّانية، وقد تكون نحتت لبني عبد الواد إمارة كبيرة قامت في

(1): ينظر، باقة السوسان في التعريف بحضارة تلمسان عاصمة دولة بني زيّان ، الحاج محمد بن رمضان شاوش، ديوان المطبوعات الجامعية ،نوفمبر 1983 ، ص 72 .

(2): ينظر ، التاريخ السياسي لمملكة تلمسان في عهد بني زيّان ، لخضر عبدلي، ص 99-100.

(3): كانت جل القبائل التي حكمت المغرب تدّعي أنّها عربية الأصل شريفة الأعراف متّصلة بالنسب النبوي، وكان أوّل من جاهر بالحقيقة في هذا العدد هو يغمراسن أبو سلاطين بني زيّان الذي قال:"إذا كان هذا صحيحاً فينفعنا عند الله، وأمّا الدنيا نلناها بسيوفنا "ينظر،العبر،ابن خلدون،ج 13،ص 149.

تاريخ المغرب بدور كبير بعد أن أنشأ لتلمسان القوّة الإقتصادية بسياسته الذكيّة والماهـــرة [1] " إذ كان من أشدّ الحي بأساً وأعظمهم في النفوس مهابة وجلالة وأعرفهم بمصالح قبيلته ، وأقواهم كاهلاً علـــى حمـــل الملك واضطلاعـــاً بالتـــدابيـــر والرياسة"[2] وحسب رأينا هذه هي الخصال التي يتوجب توفرّها في أمير يحكم قبيلاً بربرياً تَغْلُب عليه صفة الجموح والتحرّر والعداء المستمر مع القبائل المجاورة و الرّافضة للخضوع والإعتراف بسلطتهم .

وبعد وفاة السلطان يغمراسن بايع بنو عبد الواد إبنه الأمير " أبا سعيد عثمّان" الذي كان شهماً أيضاً مقداماً فشرع في تنفيذ وصيّة والده بتوسيع مملكته من جهة الشرق فغـــزا قبيلـــة مغراوة العتيدة وانتزع مازونة ثمّ تنس كما غزا كذلك قبيلة توجين وانتزع منها ونشريس ثمّ المدية لكن غزوه لبجاية كان بغير جدوى "[3] ، في أيامه شيّد مسجد أبي الحسن البديع قبالة باب البنود من المشور القديم.

وأيضاً شاهد عصره الحصار الطويل على تلمسان والذي دام ثمانية أعوام وبضعة أشهر، من بعده جاء على رأس الحكم كل من :

- السلطان محمد أبو زيّان الأوّل (70–707هـ) / (1303–1307 م).
- السلطان أبو حمو موسى الأوّل (707–718 هـ) / (130–1318 م).
- السلطان أبو تاشفين عبد الرحمن الأوّل [4] (718–737 هـ) / (1318–1336 م).

(1): العبر، يحيى ابن خلدون ، ص 186.

(2): الجزائر بين الماضي والحاضر ،أندري فرنيان ، أندري نوشي وايف لاكوست ، ترجمة رابح اسطنبول ومنصف عاشور، ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر 1984 ، ص 113 و 114 .

(3): باقة السوسان في التعريف بحضارة تلمسان عاصمة دولة بني زيّان ، الحاج محمد بن رمضان شاوش ، ص 80.

(4): نفسه ، ص 90.

فانتهى به العهد الأوّل لدولة بني عبد الواد بتلمسان ولم يكن هذا العهد عهد تشييد وبنيان فحسب بل كان كذلك عهد حضارة وعمران وعلوم وعرفان حتّى أنّ تلمسان صارت فيه تضاهي أهمّ عواصم الغرب الإسلامي كفاس وتونس وغرناطة ، عواصم الدّول التي كانت مجاورة ومنافسة لها في آن واحد، أي بني مرين وبني حفص وبني الأحمر أو بني نصر وقد سمّي المؤرخون هذا العهد العصر الذهبي لدولة بني عبد الواد.

ثالثاً : حدود الدّولة الزيّانية :

إنّ أصعب شيء يواجه الدّارس للتاريخ الإسلامي بشكل عام ، والمغرب الإسلامي بشكل خاص هو مشكل الحدود، تكمن معظم الدّول التي قامت على أرضه لتثبت على حدود قارة رسمية بل تتّخذ شريط يختلف اتّساعه بحيث لا تستطيع الجزم بتبعيته لإحدى الدّولتين اللّتين يفصل بينهما [1] فبعد يغمراسن سنة إحدى وثمّانين وستمائة وخلافة إبنه عثمّان له[2] فكانت دوماً في حالة مدّ وجزر، فبهذا كانت تسيل لعاب جيرانها الأقوياء من الشرق والغرب ولهذا كان الزيّانيون ومنذ البداية في وضع معرّض للخطر .[3]

ومن هنا يتوجّب عليه وضع كرونولوجيا دقيقة لأهمّ الأحداث والتطوّرات التّي واكبتها من نشأتها وحتّى نهايتها فيما يخص هذا الجانب ، ولعلّ السبب في هذا راجع إلى تشابه الوسط الطبيعي والتقارب في البيئات الجغرافية (تلّ، صحراء، هضاب والطقس)، فكل دولة منها تكاد تشكّل مغرباً مستقلاً يضمّ معظم هذه الصفات، ويرى عبد الحليم عويس أنّه لا علاقـــة بيـــن التقسيـــم السياسي والإختلاف الطبيعي، وما يؤكد ذلك هو إنتشار قبيلة واحدة ببطونها المختلفة بين بلدان المغرب كله كزناتة وصنهاجة ، اللّتان إمتدتا في المغرب الأقصى والأوسط والأدنى ، وقيام دولة ذات وحدة سياسية حقيقية كالدّولة الفاطمية ودولة المرابطين والموحدين[4].

مثّلت دولة بني زيّان ببقائها واستمرارها معجزة تاريخية ، نظراً لما واجهته من أخطار وعلى مستويات عديدة، فكان موقعها الجغرافي والسياسي حسّاساً، بوقوعها بين دولتي كلاهما تدّعي لنفسها شرعية وأحقيّة خلافة الدّولة المؤمنية، وخاصة الدّولة الحفصية الوريث العضوي للموحديـــن، لأنهم ينحدرون من أبي حفص الهنتائي أحد العشرة المقربين من ابن تومرت والذي توارث أبناءه حكم أفريقية في خدمة أبناء عبد المؤمن ، ليستخلصوه لأنفسهم فيما بعد.[5]

---

(1): الإسلام في المغرب والأندلس، بروفينسال ليفي،ترجمة الدكتور السيد محمد عبد العزيز ومحمد صلاح الدين حلمي،مؤسسة الجامعة الإسكندرية ص 173.

(2): ينظر، العبر، يحيى ابن خلدون ، ج 7 ، ص 79.

(3): العلاقات السياسية والإقتصادية للمغرب الأوسط مع إيطاليا وشبه الجزيرة الإيبيرية في عهد الدّولة الزيّانية، إدريس بن مصطفى، مذكرة تخرج لنيل شهادة الماجستير في التاريخ، ص 18.

(4): دولة بني حمّاد ، عويس عبد الحليم، ط2 ، دار الصحوة للنشر والتوزيع، القاهرة ، 1991، ص 77، 78.

(5): العلاقات السياسية والإقتصادية للمغرب الأوسط مع إيطاليا وشبه الجزيرة الإيبيرية في عهد الدّولة الزيّانية،إدريس بن مصطفى، ص 18.

فكما أوضحنا سابقاً ، فإنّ حدودها فقد مرت بحالات مدّ وجزر طوال حياتها ، حيث لم تكن ثابتة ومستقرة بل كانت تتقلص حيناً وتتسّع أحياناً حسب إستعداد بني زيّان وقوّتهم العسكرية والاقتصادية واستقرارهم وأمنهم ووحدة أمرائهم وانسجام قبائلهم وولائها الصادق [1].

فبعدما تمكن يغمراسن من التّوسع غرباً كان الحدّ الفاصل بين مملكته ودوّل بني مرين وادي ملوية شمالاً إلى إقليم فيجيج جنوباً[2] واستطاع الوصول بمملكته بمساعدة القبائل المنضوية تحت نفوذه إلى ما بعد مدينة وجدة إلى تاوريت* والبلاد التي تلي نهر ملوية ووادي (ص) أو(زا)[3]، وإقليم فيجيج في الجنوب الغربي، أمّا من الناحية الشرقية فقد عرفت تطوراً ملحوظاً منذ إعتلاء السلطان أبي سعيد عثمّان بن يغمراسن عرش المملكة ، فتطبيقاً لوصية يغمراسن ركزّ أغلب خلفائه إهتمامهم نحو توسيع إقليم دولتهم على حساب الحفصيين لاسيما في عهد كل من عثمّان بن يغمراسن وأبي زيّان محمد وأبي حمو الأوّل وإبنه أبي تاشفين الأوّل ، فقد استطاعت الجيوش الزيّانية في عهد هذين الحاكمين الأخيرين الوصول إلى بجاية وقسنطينة وعنابة من أراضي الحفصيين ، حيث حاصرتها عدّة مرات إلى أن بلغت عاصمتهم تونس[4] في عهد أبي تاشفين الأوّل سنة (718 هـ-1318م/737 هـ-1337م) لكنّها تراجعت إلى أطراف بجاية وبلاد الزاب [5] هو أقصى إتساع لها من المنطقة الشرقية ، كما إمتدت حدوده من البحر المتوسط شمالاً إلى غاية الصحراء الكبرى ، التي تفصل المغرب الإسلامي عن إفريقيا السوداء جنوباً ، تلك هي الحدود التي إستمرّت عليها الدّولة الزيّانية في أغلب الأحيان طوال وجودها على الرغم من تعدّد الهجمات والغزوات عليها من قبل المرينيين والحفصيين .[6]

(1): تلمسان في العهد الزيّاني ، عبد العزيز فيلالي، ج 1 ، ص 43

(2): نفسه ، ص 23

*: تقع هذه المدينة حالياً غرب مدينة وجدة بـ 136 كلم، ينظر ، العبر ، عبد الرحمن بن خلدون ، ج 7 ، ص 227

(3): وصف إفريقيا،الحسن الوزان ، ج 1 ، ط2، دار الغرب الإسلامي ، بيروت 1983، ص27،وأيضا،كتاب نظم الذر والعقيان ، التنسي ، ص 118-119.

(4): التاريخ السياسي لمملكة تلمسان في عهد بني زيّان ، لخضر عبدلي ، ص 48.

(5): يمتدّ هذا الإقليم من المسيلة غرباً حتى بلاد الجريد بتونس شرقاً ، ومن جبال بجاية شمالاً حتى تقرت وورقلة جنوباً، أهم مناطقه ومدنه بسكرة وطولغة المشهورتان بتمرهما ، وصف إفريقيا ، الحسن الوزان ، ص 119.

(6): ينظر ، العلاقات الزيّانية المرينية سياسياً وثقافياً ، هوارية بكاي، مذكرة تخرج ماجستير 2007-2008 ص ص 13 ومايليها.

- **عاصمتهـــا :**

❖ مدلول كلمة تلمسان :

إحتلّت تلمسان موقعاً جغرافياً متميّزاً أهّلها لأن ترقى إلى عاصمة المغرب الأوسط في ظلّ حكم بني عبد الواد ، ولقد شهدت هذه المدينة إزدهاراً حضارياً عبر حقبها التاريخيّة التي مرّت بها . وقد اتّخذت عبر هذه المراحل عدّة أسماء منها :

بوماريا ويعدّ هذا الإسم الروماني أقدم من غيره عند الكثير من الباحثين [1] ، وهذا يعني أنّ الرومان هم أوّل من سكنوا المدينة، بل إستقّر فيها الإنسان القديم في مغارتها وكهوفها وهذا مادلّت عليه أدوات الإنسان القديم .[2]

فإسم بوماريا يعني الريّاض الجميلة في اللّغة اللاتينية ، وهذا يدلّ على الموقع الإستراتيجي الذي تمتّعت به المدينة [3].

أمّا ما يتعلق بإسم تلمسان فهي كلمة بربرية تلم ومعناه: " تجمع " وسان معناه " إثنان " ومعناهما معاً:" تجمع إثنين الصحراء والتلّ " ، وهذا حسب ما أورده يحي إبن خلدون عن شيخه أبو عبد الله الإبلي الذي كان حافظاً بلسان القوم [4] ، أمّا أخوه فيختلف معه في التفسير ويرى أنّها تجمع بين طبيعة البرّ والبحر .

ويذهب البعض إلى كلمة " تِلِمْسان " وجمعها " تِلِمْسِين " ، وكلمة " تَلْمَسْت " وجمعها " تِلْمِسَانْ " ولهما المعنى واحد وهي الأرض التي تنعم بالمياه والأعشاب ، ويرى بعضهم أنّ المقصود منها " مدينة الينابيع. " [5]

---

(1): ينظر، العلاقة الثقافية بين مدينتي تلمسان وبجاية خلال القرن 7-9 هـ، مريم هاشمي،مذكرة شهادة الماجستير في تاريخ المغرب الإسلامي ، ص11.

(2): تلمسان في العهد الزيّاني ، عبد العزيز فيلالي ، ج 1 ، ص 89.

(3): نفسه ، ص 91.

(4): بغية الرواد في ذكر ملوك من بني عبد الواد ، يحيى ابن خلدون ، ج1 ، ص 85.

(5): العبر ، عبد الرحمان ابن خلدون ، ج 7 ، ط3، دار الكتب العلمية ، بيروت ، 2000 ، ص 90.

❖ الموقـــــــــع:

تلمسان تقع في الشمال الغربي من المغرب الأوسط في الإقليم الرابع من الأقاليم الفلكية السبع على خط طول 14 درجة و40 دقيقة ، وخط عرض 33 درجة و42 دقيقة [1] ، ويبلغ إرتفاع المدينة حوالي 827 متر على مستوى سطح البحر ، والمملكة الزيّانية كانت مقسمة إلى (ولايـــات) أو(عمـــلات) وهي تشمل كل من تلمسان، وجدة ، وهران ، تنس ، الراشدية أو"معسكر" منداس ، وانشريس ، شلف ، لمدية، الجزائر ، دلس وكان على رأس كل ولاية (وال) أو(عامل) ، وكان هؤلاء يعتمدون على مشائخ البلدان ورؤساء القبائل، وقد إعتاد سلاطين بني زيّان تعيين ولاّتهم وعمّالهم من بين أقاربهم[2].

(1): العبر ، عبد الرحمان ابن خلدون ، ج 7 ، ص 48 ،49.

(2): باقة السوسان، الحاج محمد بن رمضان شاوش، ص 93.

رابعـاً:: نظام حكمها :

مثلّت الدّولة الزيّانية مملكة يتوارث الحكم فيها أسـرة بنـي عبـد الـوداي بشكـل مطلـق واستبدادي[1]، إلاّ في بعض الحالات التي سبّبتها الإضطرابـات التي تعرّضت فيها تـلمسان لأطماع وهجمات المرينين الحفصيين [2].

يعتبر يغمراسن بن زيّان عاهل السلالة العبد الوادية الزيّانية وباعثها إلى حيّز الوجود إذ حاول بعد إستقلاله بتلمسان ، أن يجعل منها مملكة عصرية تخصّ بنوع من النّظام الذي يضمن إستمراريتها[3] كباقي الإمارات والممالك فإنّ للسلطان ولي عهد يخلفه عند مماته ، وغالباً ما يكون أكبر الأبناء مع وجود بعض الإستثناءات التي أوكلتها فيها ولاية العهد إلى الأخ مثلما حدث مع عثمّان بن يغمراسن الذي تولى السلطة بوفاة أخيه الأكبر يحيى لكن في حياة أبيه ، ولقد تمّ إختيار مدينة تلمسان عاصمة لمملكهم نظراً لجاهزيتها لما تحتويه من مآثر عمرانية وكذا بسبب موقعها الممتـاز وهذا ما ندركه من خلال قول إبن خلدون " ولم يزل عمران تلمسـان يتزايـد وخطتهـا تتّسـع ، والصروح بها بالآجر والقرميد تعالى وتشاد إلى أن نزلها آل زيّان واتّخذوها داراً لملكهم"[4] وهذه المملكة الزيّانية خضعت للترتيب التالي :

أ- الوزيـــر:

الوزيـر في بلاد العبد الـوادي هو صاحب الرتبـة الأولى بعد السلطان ، ومدبّر لشؤون ملكه ، وكان يقوم مقامه في أيام الحرب أي إن صحّ التعبير كان بمثل الواسطة بين بني المـلك والعامّة، ومعينه بالرأي، ولم يتخـذ ملوك بني عبد الواد طيلة حكمهـم إلاّ وزيـراً واحداً وقد شغـل هـذا المنصب في عهد السلطان أبي حمّو موسى الأوّل بنـو الملاح القرطبيون الذيـن إشتهروا بالإستقامة وحسن التصرّف في الأموال .[5]

(1): تاريخ الجزائر في القديم والحديث ، لميلي مبارك، الجزء الثاني، المؤسسة الوطنية للكتاب إنتاج دار المغرب الإسلامي ، ص 158.

(2): نفسه ، ص 161.

(3): ينظر ، العبر ، إبن خلدون عبد الرحمان ، ج 7 ، ص 79.

(4): نفسه ، ص 185.

(5): باقة السوسان ، الحاج محمد بن رمضان شاوش، ص 91.

وكانت مهمّتهم سكّ النقود والعناية بالزراعة[1] وقد جمع لهم بين الوزارة والحجابة . ونجد أنّ ابن خلدون يرجع أصل التسميّة إلى المؤازرة التي تعني المعاونة أو من الوزر الذي يعني الحمل الثقيل[2].

ب- **الحاجـــــب :**

هو الموّظف الذي يتّصل مباشرة بالسلطان ويأذن في الدخول عليه بعد أخذ الإذن ويسمّى "**المزوار**" [3] ، وأشهر من تولّى الحجابة في عهد السلطان يغمراسن هو الفقيه عبدون بن محمد الحبّاك .

ج- **الكاتـــــب:**

ظهرت الكتابة في عهد الرسول ﷺ لكنّها لم تكـــن وظيفة رسمية بالشكل التي ظهرت عليه ببلاد المغرب الإسلامي، إذ انتفت صفـــة الإستمرارية والإستقرار وهذا ما ندركه من خلال عدد الصحابة الذين إستكتبهم والمقدّرين بحوالي ثلاثين، لكن في عهد الزيّانيين كان يوجد كاتبان، الأوّل سميّ كاتب الإنشاء وهو الموظف الذي يتلقّى الرسائل الموّجهة للبلاط الملكي فيطّلع عليها ثمّ يجيب عليها بعد عرضها على السلطان وتلقّي أوامره في شأن الإجابة عليها كما له تولية العمّال وغيرهم.

ومن أشهر هؤلاء الموظفون في هذا العهد أبوبكر محمد بن عبد الله الخطابي المرسي ومحمد بن عمر بن خميس التلمساني الشاعر المعروف ويحيى إبن خلدون صاحب كتاب " البغية " والمؤرّخ الكبير عبد الرحمن إبن خلدون. [4]

د- **أمين المـــــال :**

أو صاحب الأشغال أو الأعمال، وقد ورثتها الدويلات الثلاثة المغاربية إضافة إلى دولة بني نصر بالأندلس عن الدّولة الموحدية وقـــد تراجعت مكانته طردياً مع تعاظم مكانة الحاجب ، إذ إحتّل

(1): لا يزال بتلمسان على طريق واد الصفصيف سينان يحمل بنت الملاح إلى يومنا هذا .

(2): المقدمة، إبن خلدون عبد الرحمن ،دار الكتب العلمية،ط1،1993، ص 185.

(3): في الأصل معناه الولد البكر في الأسرة(لفظة زناتية).

(4): باقة السوسان ، الحاج بن شاوش رمضان ، ص 92.

المرتبة الثالثـــة بعد الكاتب والوزير، وهوالذي يقوم بحراسة خزنية الملوك، والمسؤول عن حساب المداخيل والمخاريج منها : ويجمع المغارم والفيء* ويدفع الرواتب وغيرها من مصاريف القصر ، أي باختصار هذا الشخص هو المسؤول على الأموال وحفظها وصرفها فيما ينبغي من دون تبذير ولا تقتير .(1)

هـ - قاضي الحضـــــرة :

وهو بمنزلة قاضي القضاة في المشرق وقاضي الجماعة في الأندلس والمغرب ومن أشهر القضاة محمّد بن منصور بن هدية التلمساني الذي عايش السلطان أبي تاشفين الأوّل.

وكان بمختلف مدن وقرى المملكة الزيّانية قضاة يقومون برسم التوثيق وفصل الدعاوى بين النّاس فلكلّ قاض أعوان وعدول يستعين بهم في مهمته (2) .

و - الجيـــــش:

في ظلّ الظروف التي ظهرت فيها الإمارة الزيّانية وعايشتها من توتر واضطراب سياسي ، كان لزاماً عليها أن تبني جيشاً يضطلع بمهمة الدفاع عن المملكة من هجمات المغيرين عليها من الأعراب والبربر المجاورين لها ، وكذا لتأديب القبائل التي ترفض الإنضواء تحت سلطتها أو الخروج عنها ، وهذا ما نستشفّه من وصيّة السلطان يغمراسن لوليّ عهده عثمّان حين يقول:" يا بني إنّ بني مرين بعد استفحال ملكهم واستيلائهم على الأعمال الغربية وعلى حضرة الخلافة بمراكش، لا طاقة لنا بلقائهم إذا جمعوا لوفود مددهم ولا يمكنني أنا القعود عن لقائهم لمعرة النكوص عن القرن التي أنت بعيد عنها ، فإياك واعتماد لقائهم وعليك باللياذ بالجدران متّى دلفوا إليك ، وحاول ما استطعت في الإستيلاء على ما جاورك من عمالات الموحدين وممالكهم يستفحل به ملكك وتكافئ حشـــد العـــدو بحشدك، ولعلك تصير بعض الثغور الشرقية معقلا لذخيرتك . (3)

---

*: الفيئ: وهو ما حصل للمسلمين من أموال الكفار من غير حرب ولا جهاد ، وأصل الفيء : الرجوع كأنه كان في الأصل لهم ، فرجع إليهم عفواً بلا قتال ، وقوله تعالى في قتال أهل البغي: "حتى تفيء إلى أمر الله "، أي ترجع إلى الطاعة، لمزيد من الإطلاع الرجاء العودة إلى لسان العرب لابن منظور ص 247 وما يليها .

(1): باقة السوسان ، الحاج محمد بن رمضان شاوش ، ص 92.

(2): نفسه، ص 93.

(3): العبر، إبن خلدون عبد الرحمن ، ج 7 ، ص 190 و 191.

فما يمكننا أن نستشفه من هذه الوصيّة أنّ هذا الجيش كان دفاعياً محضا لا هجومياً ، إذا نجده يوصيه بتجنّب مواجهتهم وتحاشيها.

كما اشتهر الجيش بإقدامه وبشجاعته الفائقة ، وهذا ما نستنتجه من التنسي حينما يذكر بأنـــه ورغم حالة الحصار والنكوص الاقتصادي التي كانت تشهدها الإمارة، إلاّ أنّ فلول ما تبقى من الجيش الزيّاني كانت تخرج لمقابلة المرينيين المحاصرين للمدينة والذين كانوا يفرّون ركوباً أمامهم[1].

وكان الجيش مقسّم "إلى أربعة أقسام : وهو **الخاصّة من وجوه القبائل** فمنهم يختار قواد باقي الأقسام، كانوا أوفياء له وكانوا بمثابة العيون أو الجواسيس للملك.

- أمّا القسم الثاني ، **فهو القبيل** ، وهم من أقرباء الملك من بني عبد الوادي ، الذين يبدون له الولاء التّام، ويحضون بمكانة خاصّة لديه لأنهم يمثّلون الحارس الأكبر للسلطان وعرشه .

- أمّا الثالث فهو **قسم الأنصار** ، وهم من صفوة الجند إذ يشكّلون الحرس الخاص بالملك أثناء الحرب ويلازمونه في ترحاله ، في ليله ونهاره .

- والقسم الرابع **هم المماليك** ، ويشكلون مزيجاً من الأعلاج [2] والسودان والوصفان. وفيما يخص أجور الجند مختلفة حسب الرتبة والدور الذي يقوم به كل واحد منهم.

وكان لقواد فرق الجنود أربعة أصناف لكل صنف راية ، فالأوّل هو الفرقة الخاصة المؤلّفة من رؤساء القبائل ويدعون الشيوخ، أمّا الثلاثي فهي فرقة القبيل المؤلّفة من قرابة السلطان أي من بني عبد الواد والثالثة وهي فرقة الأنصار الذين يحدقون بالسلطان ويدافعون عنه في الحرب ، وأخيراً الرابعة تسمى فرقة المماليك وهم الأجانب من العبيد والنصارى ، هذا التقسيم خاص في حالة السلم ، أمّا تقسيمه في حالة الحرب ، فالجيش في ساحة الوغي يتألّف من خمس فرق: القلب والميمنة والميسرة والمقدّم والمؤخر ولذلك يسمّى خميساً [3] تشبيها بالطائـــر ذي الصدر والجناحين والرأس والذنب.

---

(1): نظم الدر والعقيان ، التنسي ، ص 132.

(2): العلج كلمة تدل على الأعجمي الكافر،ـــ غير أنها تعني بالمغرب العربي في العهد الإسلامي الأوّل ثمّ في العهد العثمّاني الإفرنجي الذي إعتنق الإسلام، ينظر، نظم الدر والعقيان ، التنسي، ص 132 و 136 .

(3): يوجد إلى يومنا هذا باب خارج تلمسان يدعى باب الخميس وموقعه بين تلمسان والمنصورة.

ومن مشاهير قواد الجيش في المملكة العبدوادية موسى بن علي الكـــردي وهـــلال القطلوني ويحي بن موسى السنوسي وعبد الله بن مسلم الزردالي وبنو مقن خدموا السلطان أبا سعيد عثمّان وبنيه [1].

أمّا من حيث الأسلوب الحربي الذي اتّبعته الدّولة العبد الوادية فإنّ الجيش يجتمع في سهل المنية بأمر من السلطان الذي يمثّل القيادة العليا ، ثمّ من قائد الجيش الميداني[2] ، فإذا ما اكتملت العملية تحت مراقبة السلطان ، تعطى له الأوامر للاتجاه نحو أرض المعركة ، ويرى الدرّاجي بإمكانية وجود طليعة تتقدّم مسيره تستكشف و تؤمّن الطريق له، وكان السلطان متواجدا ضمن الجيش محاطا بحاشيته و حرسه في حين اتّبعت الجيوش حسب ابن خلدون أسلوب الكرّ والفرّ الذي اختصّ به العرب و البربر[3].

من هنا ندرك بأنّ الجيش مثّل في هذه الدولة قوّة دفاع وصدام مع القبائل الشرقية والمرينية التي ظلّت شوكة في جنب الدولة الزّيانية ، وأولي مكانة هامة ضمن الترتيب المجتمعي لها ، بسبب أهميّته من جهة، ولحساسية موقع الدولة العبد الوادية من جهة أخرى.

(1): باقة السوسان ، الحاج بن رمضان شاوش بن رمضان ، المصدر السابق ص 94.

(2): ينظر ، نظم الحكم في دولة بني عبد الواد، بوزياني الدّراجي ، ديوان المطبوعات الجامعية ، الساحة المركزية ، بن عكنون ، الجزائر، 1993، ص ص 268 و 269.

(3): المقدمة ، عبد الرحمن ابن خلدون ، ص 211 .

الفصل الأول

مقومات الحياة الاقتصادية في الدولة الزيانية

أولاً : الطبيعية

- مساحتهـــا
- تضاريسهـــا
- جبالهـــــا

ثانياً: البشرية و المهنية

- التوزيع السكاني (الأصول العرقية للمجتمع التلمساني)
- فئات المجتمع
- الحرف والصناعات

ثالثا : العملة النقدية للمملكة الزيانية

- الدينار
- الدرهم
- نماذج من كتابات موضوعية على السكة الزيّانية

الإقتصاد عند ابن منظور مشتقّ من القَصْد في الشيء خلافُ الإفراطِ ، وهو ما بين الإسراف والتقتير، والقصد في المعيشة أن لا يُسْرِفَ ولا يُقَتِّر، يقال فلان مقتصد في النفقة، وقد اقتصد، واقتصد فلان في أمره أي استقام، وقوله ومنهم مُقْتَصِدٌ بين الظالم والسابق[1] ، أمّا اصطلاحا فهو جميع الطرق الموصلة إلى الرفاهية المادية والعيش الأفضل ، أو أنّها حسن التصرّف في الأموال الخاصّة والعامة من غير تفريط ولا إفراط ، والظّاهر أنّ هذا المصطلح لم يكن مستعملاً بمفهومه الحالي،أولاً لأننا نجد ابن خلدون يستعين عنه بكلمة معاش[2]، ولأنّ مفهوم الاقتصاد السياسي لم يظهر في القرن الماضي.

قد حقّق الاقتصاد الزيّاني في تلك الحقبة من الزمن نمواً مضطرداً جعل الإنتاج يتضاعف عدّة مرّات ، وارتبط هذا النمو بعدّة عوامل ومقوّمات (طبيعية، بشرية) دفعت باقتصاد هذه المملكة إلى الإزدهار والتطوّر في شتّى قطاعاته .

❖ أولاً : الطبيعية :

1-1 مساحتها :

كانت هذه الدّولة تمتدّ على مسافة ثلاثمائة وثمانين ميلاً*، من الشرق إلى الغرب، لكنّها تضيق من الشمال إلى الجنوب إذ لا تتعدى المسافة خمسة وعشرين ميلاً في بعض النقط من البحر الأبيض المتوسط [3] ، كانت الدولة العبد الوادية تبتدئ غرباً من سهل قفر لا ماء فيه ولا شجر، يمتد على مسافة تقدّر بنحو ثمانين ميلاً طولاً ، وما يقرب من خمسين ميلاً عرضاً ، أن يعيش فيه عدد كبير من السباع والغزلان والنعام وكان مأوى لعصابة لصوص من الأعراب قلّما ينجوا التّجـــار المارّون بالطريق المؤديّة من فاس إلى تلمسان من شرّهم لاسيّما في فصل الشتّاء لأنّ الأعراب والمستأجريـــن

(1): لسان العرب ، إبن منظور ، دار صادر ، ط3 ، بيروت ، لبنان 2004 ، ج 12 ، ص 113.

(2): المقدّمة ، ابن خلدون عبد الرحمن ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، ص ص ، 301-302.

*: قيل أنّ المسافة 850 ميلاً تقدر بـــ 930 كلم، ينظر، التاريخ السياسي لمملكة تلمسان في عهد بني زيان، الدكتور لخضر عبدلي، ص49.

(3): وصف إفريقيا ، الحسن بن محمد الوزان الفاسي ، المعروف بليون الإفريقي ، ترجمة عن الفرنسية لكل من محمد حجي ومحمد الأخضر، دار الغرب الإسلامي، الطبعة الثانية ، 1983، بيروت، لبنان، الجزء الثاني ، ص 8.

للحفاظ على الأمن في ذلك القفـــر، كانوا يرحلون عنه ويبقى منهم غير المستأجرين وحدهم ليعيشوا من اللصوصيّة[1] ، لكن السلع كانت متوّفرة ، نظراً لقرب المملكة من الصحراء، حيث كانت تشكّل مرحلة من مراحل الطريق المؤديّة إلى بلاد السودان الغربي.[2]

2-1 تضاريسها :

من الإمكانيات الطبيعية للدولة الزيّانية الّتي تعدّ من أهمّ العوامل الّتي ساهمت في غنى هذا النشاط ، وجعلت منها دولة غنيّة فلاحية تموّن نفسها ذاتياً لما تنتجه أراضيها الخصبة ، خاصة السهلية منها ، حيث كانت تتوّفر على نوعين من السهول: **سهول داخلية وسهول ساحلية**

- **السهول الداخلية** : تتمثل في سهل تلمسان الذي يقع على إرتفاع 737 متر فوق مستوى سطح البحر وإلى الشرق سهل تسالا ثمّ سهل معسكر ، وتيارت ، وسرسو[3] .
- **السهول الساحلية** : تتمثل في سهل وجدة الذي تحدّه من الغرب هضبة أنجاد* الذي يخترقها نهر إيسلي**[4]. وإلى الشمال الشرقي سهل هنين وندرومة وتنس ، ومتّيجة [5]

وقد أشار الوزّان إلى مدى خصوبة هذه المناطق وغناها بقوله : " السهول القريبة من الساحل منتجة جدّاً نظراً لخصوبتها والجهة المجاورة لتلمسان كلها سهل مع بعض المفازات ، غير أنّ الأماكن بها زاهرة والبقعة خصبة " [6]

---

(1): وصف إفريقيا، الوزان، ج 2 ، ص 11.

(2): التاريخ السياسي لمملكة تلمسان ، لخضر عبدلي، نقلاً عن الوزان وصف إفريقيا ، ص 9.

(3): الأوضاع الإقتصادية في الإمارة الزيّانية، بن عميرة لطيفة، مجلة الدراسات التاريخية ، جامعة الجزائر ، العدد 08 ، السنة 1993/1994 ،ص 71-72.

*: أنجاد أو أنكاد ، قبيلة من القبائل الرئيسية المنتمية إلى مدينة وجدة في شرق المغرب الأقصى ، ودعي هؤلاء بأهل أنجاد نسبة إلى السهل الذي إستقروا فيه ، وذلك بعدما أنزله سلطان تلمسان أبو حمو موسى الثاني ليكون وجاءاً له ضدّ إعتداءات ممكلة فاس.

**: إسلي : هي بحيرة في جبال الأطلس قرب مدينة الراشيدية المغربية .

(4): نظم الدر والعقيان ، التنسي، ص 284.

(5): الأوضاع الإقتصادية في الإمارة الزيّانية ، بن عميرة لطيفة ، مجلة الدراسات التاريخية ، ص 2 .

(6): وصف إفريقيا ، الوزان، ، ط2، ج 2 ،ص 10.

وقد وصف يحي ابن خلدون من قَبل هذه المنطقة بقوله :

" أنّها أعدل الأرض مزاجاً ، وأفضلها نتاجاً ما بين إفريقيا والسوس الأدنى إلى المغرب الأقصى."[1]

ومنتوجات هذه السهول كانت تلبّي حاجيات سكان الدّولة الزيّانية التي بلغ عددهم مئة ألف نسمة، ومدينة تلمسان لوحدها كانت تعرف كثافة سكانية معتبرة مقارنة بالمناطق الجبلية والصحراوية، حيث أنشأت من حولها قرى وأرياف وليس ببعيد عنها تمركزت أهمّ مدنها [2].

غير أنّ هذه المساحات الخصبة يتضاءل وجودها ، حيث يمتد إقليم النجود المنحصر بين سلسلة الأطلس التلّي والصحراوي [3] ، وهذه المناطق أقلّ خصوبة من السهول الساحلية ، هذا يعود إلى فقر التربة والمناخ الجاف [4].

(1): بغية الرواد ، يحي ابن خلدون ، تحقيق : عبد الحميد حاجيات، المكتبة الوطنية، الجزائر، 1980، ج 1 ، ص 85.

(2): السوق في الدولة الزيّانية ، بطيب الهوارية ، مذكرة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ والحضارة الإسلامية ، 2002-2003، ص 3.

(3): بغية الرواد ، ج 1 ، ص 85.

(4): الأوضاع الإقتصادية في الإمارة الزيّانية ، بن عميرة لطيفة ، ص 72.

ويحدّ إقليم النجود سلسلة الأطلس الصحراوي من فجيج غرباً إلى إقليم الزاب شرقاً[1] ، وكانت هذه الأقاليم جافة ، وقاحلة لدرجة يصعب معه العيش[2] ، وتتخلّل هذه السلسلة ممرّات فتحتها الأودية المنحدرة نحو الصحراء ، وكانت هذه الدروب التي تتوفر على المياه تمثّل طرقاً طبيعية تسلكها القوافل التجارية من الشمال إلى الصحراء والعكس[3].

ونظراً لطابع منطقة السهوب والتّلال ، فأغلب سكانها كانوا يحترفون النشاط الرعوي الذي يعتبر أهمّ مصدر لدخلهم ، يقتاتون منه ويبيعون منتجاتهم ومستخلصاتها من صوف ، أو وبر ، أو جلود إلى تجّار المدن مقايضة أو نقداً ويشترون بالمقابل ما يحتاجونه من مواد يجدونها ضرورية.[4]

وممّا تجدر الإشارة إليه أنّ هذه السهول لها ريّ منتظم فمياه العيون والجداول التي تنصبّ صيفاً كلها موزّعة منذ أقدم العصور على الحقول والبساتين والرياض بحيث يأخذها الأعلى فالأعلى فيسقي بها أرضه ثم يطلقها لمن هو أسفل منه ويتكرر هذا السقي كل أسبوع طيلة فصلي الصيف والخريف ، الشيء الذي يزيد في خيرات الأرض ويجعل منها زربية خضراء وجنّة من الجنان تغصّ بالزروع اليانعة والرياض الفيحاء[5].

أمّا فيما يخصّ المناخ والفصول ، فكانت مدينة تلمسان تمتاز بمناخ خاص بها وإن كانت واقعة في إقليم ذي مناخ معتدل حار فإنّ جوّها يبقى معتدلاً حتّى في فصل الصيف لأن ريح السموم الآتية من الصحراء لا تؤثر فيه إذ جبال الأطلس الواقعة جنوباً تقيها منها إلاّ في حالة ما إذا كانت الرياح قويّة جداً فإنّ الحرارة قد تشتدّ بضعة أيام فقط ثمّ تنخفض بمجرد سكون تلك الرياح أو ضعفها ، أمّا البرد فإنّه شديد بها في فصل الشتاء بسبب إرتفاعها عن سطح البحر وخاصة في شهر ديسمبر

(1): الأوضاع الإقتصادية في الإمارة الزيّانية ، بن عميرة لطيفة ، ص 72.

(2): وصف إفريقيا ، الوزان ، ص 10.

(3): الأوضاع الإقتصادية في الإمارة الزيّانية ، بن عميرة لطيفة ، مجلة الدراسات التاريخية ، ص 72.

(4): حساني مختار ، الأوضاع الإجتماعية والإقتصادية للدولة الزيّانية ، أطروحة ، جامعة الجزائر 1985/1986 ، ص 270 .

(5): باقة السوسان في التعريف بحاضرة تلمسان عاصمة دولة بني زيان ، الحاج محمد بن رمضان شاوش ، ص 37.

وجانفي وقد تنزل الثلوج المتوالية بهما فتغشي جبالها ورباها حلّة بيضاء بديعة المنظر، وفي بعض الأحيان تكون هذه الصورة حتّى في فصل الربيع ، فهذا الفصل يبدأ مع شهر فيفري أو في أواسطه لينتهي في أواسط جوان ، هذه المدّة التّي تحدّد بأربعة أشهر يميّزها جو معتدل ، لا حرارة شديدة ، ولا برداً قارساً.[1] أمّا الخريف ففي وسعنا أن نقول أنّه لا خريف بها وهذا لقصر مدّته إذ تبقى الحرارة مرتفعة إلى أواخر شهر سبتمبر ولا يعتدل الجو بها إلاّ مدّة قليلة أثنـــاء شهـــر أكتوبر وتنخفض بمجرّد دخول شهر نوفمبر حيث تهبّ عليها الرياح الشمالية الغربية حاملة معها الرطوبـــة والبرد.[2]

- **الأنهـــــار:**

إنّ الأودية المنصبّة من جبال تلمسان بسبب ما ينزل عليها من الأمطار الغزيرة لا ينصبّ ماؤها حتى في فصل الصيف خلافاً لما هو معهود في باقي الأقاليم الأخرى وأشهر هذه الأودية ثلاثة : نهر تافنة* وساعدتاه :

الخميس ويسّر فالأوّل أي تافنة ينبع من سطح جبل ورشيش الواقع جنوب قرية تيرني بعد أن يقطع مسافة أربعة أو خمسة أميال تحت سطح الأرض ثم يعبر بسائط سبدو ومغنية والرمشي ويبقى هكذا شاقاً طريقه إلى أن ينصبّ بالبحر الأبيض المتوسط تجاه جزيرة أرشقول وهو غير صالـــح للملاحـــة، وأمّا ساعدتته فإحداهما غربية وهي واد الخميس وثانيتهما شرقية شمالية وهي واد يسّر وهذه الأودية الثلاثة تنصبّ فيها عدّة أودية وجداول عديدة يسمع لها خرير في كل ناحية[3].

(1): ينظر، باقة السوسان في التعريف بحاضرة تلمسان عاصمة دولة بني زيان ، الحاج محمد بن رمضان شاوش ، ص 37.

(2): نفسه ، ص 37 وما يليها .

*: أطلقت إسم هذا النهر على المعاهدة التي أبرمت بين الأمير عبد القادر والجنرال بيجو بتاريخ 30 مايو 1837.

(3): باقة السوسان، الحاج محمد بن رمضان شاوش ، ص 39.

3-1 جبالهـا :

أمّا جبالها المعروفة في اصطلاح الجغرافيين المعاصرين" بجبال تلمسان " فإنّها تتكون من عدّة سلاسل تكاد أن تكون متوازية بعضها فوق بعض[1] ، وهذه الجبال لا تختلف عمّا تشهدها الآن من خصائص طبيعية[2] ، فترتفع في مجموعها نسبياً ، ودونك ترتيبها من الشمال الغربي إلى الشمال الشرقي[3].

ومن أهمّ هذه الجبال نذكر :

- **جبل بني يزناسن:**

يقع على بعد نحو خمسين ميلاً (أي حوالي 80 كلم) غربي تلمسان ، يتاخم قفر أنجاد [4] ممتداً على طول خمسة وعشرين ميلاً وعلى عرض 15 ميلاً[5] ، وكانت تكسوه غابات كثيفة ، وهو شديد الوعورة والارتفاع ، وكان يضمّ قرى عديدة وقلعة حصينة في أعلى قمة كان يقيم به أمراء البلاد، كما كان هذا الجبل في ساعة الحرب يمدّ الملك من قوة من بنيه قد تصل أحياناً إلى عشرة آلاف مقاتل [6].

- **جبل مطغـــرة:**

كان هذا الجبل يقع على بعد نحو ستة أميال من ندرومة ، شاهق جدّاً شديد البرودة ، لكنّه كثير السكان وأصلهم من البربر يدعون ببني منصور يميلون إلى الشدّة لكنهم فقراء ، فاستعان بهم سكان القرى المجاورة وأهمّها ندرومة إذ عقدوا معهم الأحلاف ضدّ ملوك تلمسان[7] ، فكان لا ينبت في هذا الجبل سوى الشعير والخرّوب.

---

(1): باقة السوسان، الحاج محمد بن رمضان شاوش ، ص 31.

(2): التاريخ السياسي لمملكة تلمسان في عهد بني زيان ، لخضر عبدلي ، ص 51.

(3): الدولة الزيّانية في عهد يغمراسن (دراسة تاريخية وحضارية)، بلعربي خالد ، ص 67.

(4): التاريخ السياسي لمملكة تلمسان ، لخضر عبدلي ، ص 51.

(5): الدولة الزيّانية في عهد يغمراسن ، بلعربي خالد ، ص 67.

(6): ج 2 ، ص 34.

(7): ينظر: وصف إفريقيا وأيضا ص 43 ، الدولة الزيّانية في عهد يغمراسن ص 67.

- **جبل ولهاصـــة :**

هو جبل مرتفع يجاور مدينة هنين ، كانت تسكنه قبيلة "عاتية" وهذه القبيلة كثيراً ما حاربت المدن المجاورة لها مثل مدينة هنين وخرّبتها ، وكان ينبت في هذا الجبل القليل من القمح والكثير من الخروب.(1)

- **جبل أغبـــــال:**

كان سكنه أناس كلهم فلاحون وحطّابون يحملون حطبهم إلى وهران ، وكانوا في عيشة راضية يوم كانت المدينة بأيدي المسلمين لكن عندما احتلت أصيب أهل هذا الجبل بفقر.(2)

- **جبل بني ورنيـــد:**

يقع هذا الجبل على بعد نحو ثلاثة أميال كما هو حاله اليوم من مدينة تلمسان ، وكان كثير السكان ، وينتج كميّة وافرة من الفواكه لاسيما التّين والكرز ، فكان أهله فحّامون وحطّابون وفلاّحون وكان دخله لممكلة تلمسان بحوالي إثنى عشر ألف مثقال في كلّ السنة .(3)

- **جبل مغـــراوة :**

كان هذا الجبل كشأنه حالياً على أربعين ميلاً محاذياً لشاطئ البحر، قريباً من مدينة مستغانم .(4)

- **جبل بني بوسعيد:**

يجاوز هذا الجبل مدينة تنس ، ويقطنه سكان كثيرون ، وكانوا يملكون كميّة وافرة من العسل والشعير والماعز ، وكانوا يحملون الشمع والجلود إلى شاطئ تنس ، يبيعوها هناك إلى التّجار الأوربيين .

---

(1): وصف إفريقيا، الوزان، ص 44.

(2): الدولة الزيّانية في عهد يغمراسن، بلعربي خالد ، 67.

(3): وصف إفريقيا، الوزان، ص 44.

(4): نفسه : ص 44.

- **جبل وانشريس:**

كانت تسكنه قبيلة* ، حاربت السلاطين الزيّانيين أكثر من ستين عاماً بسبب مساندتها لبني مرين ملوك فاس ، وكان في أعلى قمته كميّة هامّة من معدن " الزنك" فكان عدد المقاتلين فيه نحو عشرين ألف ، منهم ألفان وخمسمائة فارس ، وهؤلاء الجبليين هم الذين ساعدوا الأمير يحيى الثابتي الذي استقلّ بولاية تنس سنة 912 هـ (1)

كما يوجد في شرق سهل الجزائر وجنوبه عدد لا يحصى من الجبال ، تسكنها قبائل شديدة البأس متحرّرة من كل إتاوة، وافرة الغنى ، واسعة الكرم ، يملكون أراضي جيّدة للزراعة لكنّها غير خاضعة لمملكة تلمسان ، وكانوا يقيمون فيما بينهم معارض وأسواق للبهائم والحبوب والصوف والأقمشة المجلوبة من المدن المجاورة .(2)

*: بني توجين وهم من ولد بادين بن محمد.

(1): التاريخ السياسي لمملكة تلمسان في عهد بني زيان ، لخضر عبدلي ، ص 53.

(2): ينظر ، وصف إفريقيا ، الوزان ، ص 46.

ثانياً: البشرية والمهنية:

لا شكّ من أنّ مدينة تلمسان تتميّز بموقع جميل بين البساتين الكثيرة والحقول الواسعة ، وتحيط بها السلاسل الجبلية التي تتوفر على المناجم المعدنية .[1] ، والمياه الغزيرة ، فهذه العناصر جعلتها تتصدّر مدن المغرب الأوسط ، وتتفوّق عليها في المجالات المختلفة حتى صارت عاصمة للدولة الزيّانية ، فتدفّق عليها السكان من المناطق المجاورة والبعيدة ، وقد هيّأت هذه الخصائص المجتمع التلمساني إلى نقلة حضارية متميّزة وجعلت المدينة تحتّل مكانة إقتصادية هامّة .

ولم تجعل هذه الخصائص الطبيعية من مدينة تلمسان مجرد مؤسسة عمرانية تعيش على حساب الريف والبادية تكتفي بدون السوق الإستهلاكية بل تحوّلت إلى محطّة كبيرة للإنتاج الزراعي ، وورشة صناعية وسوق دولية ، ومركز للخدمات الإجتماعية ، إشتغل أهلها بمختلف الحرف والصناعات كما سنرى في هذا العنصر .

1-2: التوزيع السكاني:

- **الأصول العرقية للمجتمع التلمساني :**

يبدو أنّ الأصول العرقية لعناصر سكان مدينة تلمسان كان متشعّبة ، بحيث يصعب على الباحث الإلمام بكل مكوّناتها ، ويعود السبب في ذلك إلى نقص الوثائق من جهة وإلى التمازج الذي حدث بين السكان الأصليين من البربر ، وبين الأجناس الأخرى التي حلّت بها منذ الفتح العربي الإسلامي في نهاية القرن الأوّل الهجري السابع الميلادي كالعرب اليمنيين والمضريين والشاميين والعراقيين والأندلسيين والفرس ، والقبط ، والأعلاج المماليك والعبيد السود ، فضلاً عن جنسيات مختلفة أخرى من أوربا ويهود وغيرهم ممن تسربوا إلى مدينة تلمسان وحطّوا رحالهم فيها ، في شكل مجموعات كبيرة أو صغيرة ، أو على مرّ السنين والقرون .[2]

(1): ينظر ، وصف إفريقيا ، ص 23.

(2): تلمسان في العهد الزيّاني ، عبد العزيز فيلالي ، ج 1 ، ص 170.

- **فئات المجتمع :**

يمكن تصنيف فئات الدولة العبد الوادية في عهد يغمراسن إلى عدّة فئات حسب خضوعها لسلطة الدولة كما جاء به الدكتور بلعربي خالد .

***1/ الفئة الأولى :**

وهي الفئة العليا في المجتمع وتظمّ السلطان وأبناء عمومته والحجّاب والوزراء ، وكتّاب الدواوين والولاّة ، وقادة الجيش [1] ، ويمكن إضافة بعض الموظفين إلى هذه الشريحة المتميّزة من الذين كانوا يشغلون مناصب حساسة ، كالقضاة والفتيا والخطابة والجباية والحسبة .[2]

***2/ الفئة الثانية :**

وتتكوّن هذه الفئة من صغار التّجار الذين كان عددهم كبيراً في تلمسان [3]، وهم أصحاب الحوانيت المختلفة في المدينة ، وحاجة النّاس إلى هؤلاء قليلة ، تقلّ أكثر كلّما ابتعدوا عن المدينة فهم يعتمدون على ما يحقّقونه من ربح في تجارتهم البسيطة وكان على هؤلاء أن يتعاملوا مع عامة النّاس على اختلاف طباعهم وأخلاقهم وهنا يضطرون إلى المماحكة والغشّ والقسم إلى غيره من الوسائل المنحرفة لبيع سلعهم ، وربّما لهذا السبب كان لا يحترف هذا النوع من التّجارة إلاّ عامة الناس بينما يترفّع عنها ذووا الجاه ، وهنا يكمن الدافع الذي جعل القاضي النّعمان يضعهم مع أهل الحرف الذين يبيعون بأنفسهم سلعهم .[4]

---

(1): العبر ، ابن خلدون ، ج 7 ، ص 182.

(2):جوانب من الحياة الاقتصادية والاجتماعية للمغرب في العصر الوسيط، القرن 12/6م ،ناصح محمد كلية الآداب والعلوم الإنسانية،الرباط 1888، ص 270.

(3): تلمسان في العهد الزّياني ، عبد العزيز فيلالي ، ص 222.

(4): الأوضاع الإقتصادية والإجتماعية في المغرب الأوسط خلال القرنين الثالث والرابع الهجريين/ 9-10 م ، جودت عبد الكريم يوسف. ديوان المطبوعات الجمعية ، الساحة المركزية ، بن عكنون ، الجزائر، 1992، ص 258.

إضافة إلى أصحاب الحرف والصنّاع الذين كانوا يعيشون حياة راقية بفضل الأموال الكثيرة التي يكسبونها.[1] كانت الحرف والصناعات في المملكة الزيّانية متنوّعة ومختلفة، تعدّدت معها أصناف الحرفيين والعاملين في القطاع الصناعي والحرفي ، فقد تميّزوا بالنشاط والمهارة في إتقان صناعتهم ومنتوجاتهم الحرفية التقليدية ، التي عرفت تطوراً ملحوظاً في عاصمة بني زيّان.[2] هذا دون نسيان العبيد والخدم الذين يعملون في البيوت ، والحقول والمتاجر، فهؤلاء العبيد انتقلوا من بلاد السودان إلى الديّار الإسلامية[3] ، فقد ذكر الأصطخري أنّ " الذي يقع من المغرب الخدم السود من بلاد السودان"[4]، ثمّ أضاف أنّ " الخدم السود الذي يباعون في بلاد الإسلام منهم وليس هم بنوبة ولا بزنج ولا بحبشة ولا من البجة ".[5]

وقد ظهر هؤلاء العبيد في بلاد المغرب الأوسط ، ففي تاهرت يشير ابن الصغير إلى وجودهم بشكل واضح ، فحين قدم الوفد الأوّل من على الإمام عبد الرحمان بن رستم وجد " العبيد والخدّام قد كثرت".[6]

*3/ الفئة الثالثة:

هي فئة القبائل الرّحالة التي كانت تجوب البوادي * والأرياف . فالمصادر التاريخية التي تتحدث عن الدولة الزيّانيـــة تتجاهل عن قصد أو عن غيـــر قصد الدور الذي كانت تقوم به الرعيّـــة

(1): الدولة الزيّانية في عهد يغمراسن ، دراسة تاريخية وحضارية (633-681)هـــ(1235-1282)م، بلعربي خالد ، ص 76.

(2): ينظر، جوانب من الحياة في المغرب الأوسط (القرن 9 هـــ)، محمد بوعياد ، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ، الجزائر 1980، ص 32.

(3): الأوضاع الإجتماعية والإقتصادية في المغرب الأوسط (9-10م)، جودت عبد الكريم يوسف ، ص 265.

(4): المسالك والممالك، الإصطخري، تحقيق محمد جابر عبد العالي الحسني ، دار القلم، القاهرة ، 1961/1385 ، ص 45

(5): نفسه ، ص 40

(6): " تاريخ الأئمة الرستميين، نشر موتلنسكي ، أعمال المؤتمر الرابع عشر للمستشرقين المنعقد في الجزائر 1905 م باريس 1908 ، ص 351.

*: بعض سكان المغرب الأوسط عبارة عن قبائل منتشرة في أرجائه ويعرّف ابن خلدون البدو بأنّهم :" المنتحلون للمعاش الطبيعي من الفلح والقيام على الأنعام وأنّهم مقتصرون على الضروري من الأقوات والملابس والمساكن وسائر الأحوال والعوائد ويقصرون عما فوق ذلك من حاجي أو كمالي ، ويتّخذون البيوت من الشعر والوبر أو الشجر أومن الطين والحجارة " ، المقدمة ، ابن خلدون ، ص 121 ، ينظر الأوضاع الإقتصادية والإجتماعية في المغرب الأوسط ، جودت عبد الكريم يوسف ، ص 247.

في الحياة العامة، وتحديد نمط إنتاجها ومعيشتها.[1] باستثناء الفئة الأولى والتي تظمّ السلطان وأبناء عمومته وخدّام الدولة التي حضيت بعناية كبيرة وخاصة لأنّها قريبة من العاهل التلمساني وتواجدها في بلاط الدّولة ، فنجد أنّ جلّ المصادر ركزّت فقط على دور السلطـــان والوزير في دولة بني عبد الواد حتّى أصبحت مؤلفاتهم التّاريخية بذلك تاريخاً للحكام لا غير .

***4/ الفئة الرابعة :**

تتكون هذه الفئة من أسر الموظفين ورجال العلم والفكر والأدب والفقهاء والأساتذة الذين يزاولون التدريس ، وعائلة الأطباء الذين نالوا الحظوة في بني زيّان ، ويضاف إلى هذه الفئة الجنود والرماة النظاميون الذين كانوا يتقاضون أجرة في غاية الأهمية .[2]

(1): تلمسان في العهد الزيّاني ، عبد العزيز فيلالي، ج 1 ، ص 210.

(2): نفسه ، ص 77.

2-2: الحرف والصناعات:

الصناعات الحرفية التي ميّزت تلمسان هي كالتالي:

1/ صناعة النسيج :

من بين الصناعات التي لم تكن مقتصرة على المدن بل شملت البوادي أيضاً لأنّ القبائل العربية البربرية كانت تعمد إلى الرّحلة الموسميّة وأنّ مساكنها عبارة عن خيم مصنوعة من الوبر والصوف تقوم بنسجها المرأة لذلك نجد صناعة المنسوجات المنزلية أكثر انتشاراً فكلّ عائلة تهتمّ بهذا النوع من الصناعة حيث تقوم الأسرة بنسج ما تحتاج إليه من الملابس لأنّ المادة الأوليّة متوّفرة في أغلب المناطق التابعة للدولة الزيّانية .[1]

فبسبب توّفر المادّة خاصّة الصوفية منها ازدهرت صناعة النسيج في الدّولة العبد الوادية والتي ضمنتها صناعة الأقمشة والأغطية التي يطلق عليها إسم " الحنبل " والزرابي والأكسية أو البرانس التي وصلت إلى درجة عالية من الإتقان .[2]

وقد أشار يحي ابن خلدون إلى صناعة المنسوجات الصّوفية بتلمسان ، فأثنى عليها بقوله : " ... غالب تكسبهم الفلاحة وحوك الصوف يتغايون في عمل أثوابه الرقاق ، فتلفي الكساء أو البرنس عندهم من ثماني أواق، والأحرام من خمس، بذلك عرفوا في القـديم والحـديث ، ومن لدنهم يجلب إلى الأمصار شرقاً وغرباً .[3]

وكانت حياك الدولة الزيّانية وبرانيسها تباع لتّجار الدولة الأوربية والإسلامية ممّا جعل الفقهاء يقومون هم الآخرون بها ، فقد أورد أبو الفضل العقباني أنّ فقيهاً مات وترك زوجات وأولاداً صغاراً وكبار، فسافر بعضهم لبلد فاجتمع هناك ببعض الفقهاء لهم . إنّ الفقيه المذكور كان يبعث لنا الحنابل لبيعها ونأخذ بها سلعة والآن مات وأنت من خواصه فاجعل هذه السلعة لبلدكم حيث ورثتها.[4]

---

(1): تاريخ الدولة الزيّانية ، الأحوال والإقتصادية والثقافية ، الدكتور مختار حساني ، دار الحضارة للطباعة والنشر والتوزيع، الطبعة الأولى، الجزائر 2007. ج 2 ، ص92.

(2): ينظر ، الدولة الزيّانية في عهد يغمراسن ، بلعربي خالد ، ص 167.

(3): بغية الرواد ، يحي ابن خلدون، ج 1 ، ص 92.

(4): تاريخ الدولة الزيّانية، الأحوال الاقتصادية والثقافية ، مختار حساني، ج 2 ،ص2.

ومن أهمّ مدن الدّولة الزيّانية التي تخصّصت في صناعة النسيج نذكر تلمسان العاصمة ، وبرشك، وهنين ، وندرومة ، ومليانة [1]، كما اشتهرت قلعة بني راشد في صناعة الزرابي[2] ، وكان يقوم على نسجها وصناعتها البدو الرحّل الذين كانوا يأتون للحصول على ما يلزمهم من الحبوب ، كما اهتمت بها القبائل المستقرّة في المنطقة .

2/ صناعة الجلود :

أجاد سكان الدولة العبد الوادية صناعتها ، فصنعوا من الجلد الأحذية مثل البشماق الخاص بالنساء، كما صنعوا السروج والسندالة ، والطبول والدفوف ، فقد قامت الجالية الأندلسية في عهد يغمراسن بن زيان بدور كبير في تطوير صناعة الجلود[3] ، ونظر لقيمة المصنوعات الجلدية فإنّها كانت تصدّر إلى خارج الدولة ، وفي هذا الصدد يقول دوزي (DOZY) " وباعة الأحذية يشترون الأحذية والخفوف بالجملة من الحذّائين ويعيدون بيعها القطاعي ، وهذه الأحذية تصدّر إلى السودان الغربي ، وبخاصّة البلغة التي نقلت من تلمسان ، والخفاف والسندالة ، بالإضافة إلى صناعة السروج التي كانت لها قيمة كبيرة حيث كانت تصدّر إلى الخارج." [4]

أمّا الّدباغون فمنهم الذين كانوا يعدّون الجلود للدّبغ من حيث إزالة الشعر من الجلد وإعداد السحيق اللاّزم للدّباغة ، وكانوا يستعملون جلود الأغنام والأبقار فينشرونها في الطرقات لتجفيفها ، وكانت من العادات السلبية حيث وجدت معارضة من قبل فقهاء الدّولة لأنّ دمها يدخل في النجاسة ، ولذلك كان المحتسب يأمر بإبعاد الجلود من الطرقات حتى لا تؤثّر على المارّة وهناك من يقوم بتلوينها بألوان مختلفة ومن أهمّها الجلد الفيلالي .

صناعة الجلود وجدت رواجاً من قبل سكان الدّولة الزيّانية حيث كانت تمارس منذ العصور القديمة، وهذا ما يؤكده إبن خلدون بقوله :"الصنائع في المغرب قليلة وغير مستحكمة الأماكن من صناعة الصوف من نسجه والجلد في غزره ودبغه،فإنّهم لما إستظهروا بلغوا فيه المبالغ العموم البلوى لما لهم من حال البداوة."[5]

(1): وصف إفريقيا، الحسن الوزان، ج 2 ، ص 32 وما يليها.

(2): تاريخ الدولة الزيّانية ، مختار حساني ، ج 2 ، ص 92 .

(3): الدولة الزيّانية في عهد يغمرا سن، بلعربي خالد ، ص 168.

(4):ينظر، Dozy (R) . histoire de Benzeiyan trad de rawdat el Nisrin de Ibn Ammor. 2eme partie dans le journal asiatique Mai 1944 . PP 368-416

(5): ينظر ، تاريخ الدولة الزيّانية ، مختار حساني ، ج 2 ، ص 95.

3/ الصناعة الفخارية :

أمّا فيما يتعلق بصناعة الفخار ، فتعتبر هي الأخرى من بين الحرف الّتي عرفتها مدن الدولة الزيّانية ، فكانت توجد بتلمسان أفران خاصّة بصناعة الفخار ، وقد أشار إليها جورج مارسي في دراسته الوجيزة عن الفخار في الجزائر .[1] وأيضاً العالم الأثري ألفرد بال (ALFRED Bel) حدّد مركز صناعة الفخار في مدينة تلمسان وهو الطريق المؤدي إلى الساحة التي لا تبعد كثيراً عن باب العقبة[2] ، حيث توجد آثار أفران لصناعة الفخار وحطام الأفران بباب القرميدين* ، حيث يتبيّن للباحث أنّ هذا المكان والمناطق المجاورة له كانت أفران لصناعة الفخار والخزف والقرميد بالدولة الزيّانية وهذا ما أعطى لهذا الباب إسمه.[3]

وهناك مراكز أخرى لم يتم الكشف عليها لأنّ المدينة الحديثة قد شيّدت وتوسّعت على حساب المدينة القديمة مثل أغادير الواقعة جنوب المدينة والتي كانت مسكونة وبها مجموعة من الحرفيين .

ولعلّ من أبرز الآثار الباقية للخزف الزيّاني ما قام به جورج مارسي عند دراسته للفخار الحمّادي وجد بعض منه يعود إلى مدينة تلمسان ويرجع إلى القرن السابع الهجري الثالث عشر الميلادي. من أبرز العوامل التي أدّت إلى ازدهار هذه الصناعة في مدن دول بني زيّان وأريافها إستعمالها من قبل الطبقات الإجتماعية سواء كأواني الطهي أو حفظ المؤونة أو السيول كالزيوت والسمن وغيرها من المواد السائلة ، ومن بين الذين تعرضوا لها الحسن الوزّان الذي قال عنها أنّها تباع بأسواق الدولة مثل قلعة بني راشد التي زارها واطّلع على الفخار الذي يباع بها .[4]

---

(1): تاريخ الدولة الزيّانية ، مختار حساني ، ج 1 ، ص95.

(2): بغية الرواد، يحي بن خلدون ، ج 1 ، ص 91.

*: يشكّل باب القرمادين إحدى الأبواب الرئيسية لمدينة تلمسان ، يقع في الشمال الغربي منها ، ويعتبر الحصن الدفاعي الأساسي الذي يحمي مدخل المدينة، ينظر يحي ابن خلدون ، بغية الرواد ج 1 ، ص 90.

(3): الدولة الزيّانية في عهد يغمراسن، بلعربي خالد ، ص 169.

(4): ينظر، تاريخ الدولة الزيانية ، مختار حساني ، ج 2، ص96

4/ صناعة مواد البناء :

تطوّرت صناعة مواد البناء في عهد الدولة الزيّانية لوفرة الأيدي العاملة الأجنبية سواء من الأندلس أو الدول الأوربية ، فقد ذكر يحيى ابن خلدون أن سلاطين الدولة الزيّانية قد استعانوا بالأندلسيين لبناء المشاريع العمرانية وخاصّة في عهد السلطان أبو موسى الثاني وكذلك السلطان أبو تاشفين الأوّل الذي ولع في بناء القصور والدور وتشييد المصانع واغتراس المتنزهات مستظهراً بذلك بآلاف عديدة من فعلة أسرى الروم نجّارين وزلاّجين وزوّاقين وغير ذلك مع صدقه رحمه الله بالإختراع وبصره بالتشكيل والإبتداع، فخلف أثار لم تكن قبله لمالك ولا عرف لها بمشارق الأرض ومغاربها مثل دار السرور وأبي فهر وما سواها .[1]

في عهد العاهل الزيّاني يغمراسن بنيت مساجد الدّولة العبد الوادية بالآجر والقرميد ، فحين قام السلطان يغمراسن بتشييد مئذنة مسجد " أقادير" استكمل الجزء الأعلى منها بالآجر الأحمر.[2] ونفس القول ينطبق على مئذنة الجامع الكبير التي بنيت من الآجر .[3]

وقد تزايدت مهنة البناء في عهد السلطان يغمراسن بسبب اتّساع الحركة العمرانية وتطوّرها ، واهتمام هذا الأخير بالبناء والشييد والعمارة.

فالعمارة الزيّانية تتميّز بأثرها بالأساليب الفنيّة الأندلسية ، ففي مسجد سيدي أبي الحسن نجد الزخرفة النّباتية والكتابية الكوفية وخشبه المشيّد بخشب الأرز المنقوش والأقواس المحلاة بأوراق وزهور أنيقة الشكل.

ويتميّز صنّاع الدولة الزيّانية بإنجاز مشاريعهم في الوقت المحدّد لها كما حدث في بناء مدينة تمزيزدكت وقصور أبوتاشفين الأوّل في تلمسان .[4]

---

(1): ينظر، تاريخ الدولة الزياينة ، مختار حساني ، ج 2 ، ص 97.

(2): ينظر ، تلمسان في العهد الزيّاني ، عبد العزيز الفيلالي ، ج 1 ، ص 109.

(3): ينظر ، الأوضاع الإقتصادية والإجتماعية في المغرب الأوسط ، عطاء الله دهينة ،المؤسسة الوطنية للكتاب ، 1986 ، 362.

(4): ينظر ، تاريخ الدولة الزيّانية ، حساني مختار ، ج 2 ، ص 97.

5/ الصناعة الخشبية :

هي من بين الصناعات التي لها إرتباط بالبناء ، وتتميّز الدولة الزيّانية بوجود ثروة غابية سهّلت عملية تطوّر صناعة الأخشاب المتمثّلة في الأسرّة والخزائن والصناديق والأبواب والنوافذ ، وكانت من مصنوعاتهم الموائد التي ظهرت في بيت الإمام عبد الرحمان بن رستم، فصنعوا الأبواب وأقفالها، وكانت تصنع للأثرياء من أخشاب مستوردة فكانت في قصور بني زيري مصنوعة من أخشاب هندية ضمّت أجزاؤها إلى بعضها البعض بمسامير ذهبية[1]، وصنعوا المغارف والملاعق والعود الذي يقطع عليه اللّحم واللوح الذي يمد عليه الكعك ، واستخدم في صناعتها الخشب الصلب كالبلوط والبطم والزيتون والبقس والعناب ، فأنتجوا المهاريس الخشبية بدلاً من النحاسية، كما صنعوا الصحون والكؤوس الخشبية والأقفاص ، في حين كان **المنصور الفاطمي** يحارب **يزيد مخلد بن كيداد** عمل قفصاً " من الخشب" كما استعملوا الخشب في صناعة الهوادج ، واستقبل ابن أبي عامر جعفر بن علي ببغال " محمّلة عدّتها من العماريات والهوادج المتقنات ".[2]

واستعملوه في سقف منازلهم وفي صناعة مختلف الأسلحة . ويبدو أنّ المغرب الأوسط اشتهر بها فإنّ زيري بن عطيّة المغراوي أرسل هدية للأمويين عدداً كبيراً من السهام والأقواس المصنوعة من شجر الزان[3]، كما استعملوا الخشب في صناعة المراكب والسفن ومنها مراكب تاهرت التي ذكرها **اليعقوبي** وعلى أيّة حال ، فقد عرفت الصناعة الخشبية عدداً من الصنّاع ، فكـــان منهـــم " النشّـــار" وآخر " الخشّاب " وثالث "النّجار."* و ربّما هم الذين عانهم **الدرجيني** بقوله ثلاثة نجّارين : " أحدهم يحسن قطع الخشب من الشعراء والثاني يشقّها وينشرها والثالث يركّب الألواح و يسمرّها فيما يصلح من الأدوات."[4]

والمهمّ في الأمر حتّى النشارة كانوا يستفيدون منها في استعمالها لتجفيف صفحات الكتابة ، فقد وجدت بين صفحات مخطوطات عربية أندلسية. [5]

---

(1): القوى البحرية والتجارية في البحر الأبيض المتوسط ،أرشيبالد ،تعريب أحمد عيسى،مطبعة مصر،القاهرة، بدون تاريخ، ص 331.

(2): المقتبس من أبناء أهل الأندلس، ابن حيان، تحقيق محمود علي مكي، نشر لجنة أحياء التراث الإسلامي ، القاهرة، 1390هـ/1971م، ص 117 .

(3): الأوضاع الإقتصادية والإجتماعية في المغرب الأوسط ، جودت عبد الكريم يوسف، ص 117.

(4): طبقات المشائخ بالمغرب ، الدرجيني ، تحقيق إبراهيم طلاي ، مطبعة البعث ، قسنطينة 1974م ، ج 2 ، ص 398.

*: للإستزادة حول التجارة، أنظر المقدمة لأبن خلدون ، الفصل السادس والعشرون.

(5): الأوضاع الإقتصادية والإجتماعية في المغرب الأوسط ، جودت ، ص 117.

6/ الصناعة الطبيّة :

كانت بلاد المغرب الأوسط تشتهر ببعض النباتات التي تستعمل في علاج بعض الأمراض فذكر الإدريسي أنه في أكناف جبل مسيون بشمال بجاية جملاً من النباتات المنتفع به في صناعة الطبّ مثل شجر الحضض والسقولو فندوريون والباربريس والقنطوريون الكبير والرواند والقسطـــون والأفسنتين وغير ذلك ، وكانت أهل قلعة "بني حماد يتحرّزون ويتحصنّون من عقارب كثيرة قاتلة بأن يشربوا " نبات الفوليون الحراني ويزعمون أنّه ينفع شرب درهمين منه لعام كامل فلا يصيب شاربها شيء من ألم تلك العقارب ".[1]

وهناك بعض المهن المرتبطة بالنبات ، فكان بعض النّاس من اتّخذ جمع الحطب وبيعهم فعرف بـــ"الحّاب" ومنهم من اختص بعمل الفحم فعرف بـــ" الفحّام" ومنهم من اشتغل بالتّين فعرف بـــ" التبّان" وغير ذلك .[2]

(1): صفة المغرب وأرض السودان ومصر والأندلس ، الإدريسي ، مأخوذة من كتاب نزهة المشتاق في إختراق الآفاق / مطبعة بريل بدن 1968، ص16.

(2): الأوضاع الإقتصادية والإجتماعية في المغرب الأوسط،جودت عبد الكريم،ص 114،وللإستزادة عن صناعة الطب ينظر، المقدمة:ابن خلدون،الفصل 29.

ثالثاً : العملة النقدية للملكة الزيّانية:

بعد قيام الدولة الزيّانية حوالي سنة (646 هـ/ 1248 م) ، شرع ملوك هذه الدولة في سكّ نقودهم تجسيداً لمبدأ إستقلالهم من الدولة الموّحدية ، وأوكلت مهمّة صناعتها في بادئ أمرهم لأسرة بني ملاح* القادمة من قرطبة التي كانت تحترف سكّ الدنانير والدراهم فاستعان بهم الملك الزيّاني يغمراسن بن زيان وخلفاؤه على ذلك [1].

كانت عملية سكّ أو صناعة النقود تتم بدراسة السكّة الموجودة بتلمسان حيث يدفع للقائم عليها الذي يعرف بالسكّاك كميات من المعادن المسبوكة من ذهب، وفضّة، ونحاس يقوم بصهرها وصبّها في قوالب خاصّة بالعملة بعد تحديد عيارها . ثمّ بعد ذلك يشرع عامل آخر متخصّص يدعى الفتّاح بالنقش عليها ، حيث يكتب على وجهها وظهرها ما يأذن به الملك لا ينقص منها شيئاً، ولا يزيد منها إلاّ بإذنه ، وتتمّ كل هذه العمليات بمراقبة ناظر أو رقيب[2] ، الذي يخضع هذا المنتوج الثمين إلى الوزن والقياس للتأكد من أنّها وافقت الشروط المحدّدة التي وضعها الملك لعملته ، وما كان يدفع للسكّاك من معادن كان يتمّ بمحضر شاهدين يكتبان في وثيقة خاصّة أسماؤها ، وإسم القابض والدّافع ، وكميّة المعدن والأجرة المتّفق عليها[3]، ونوع وكميّة ما يصنع دنانير ودراهم وقراريط ، ومكان الدفع كان يتمّ في الغالب بدار السكة[4].

كانت وحدات العملة المتداولة لدى بني زيان مشكّلة أساساً من معدن الذهب والفضّة ، فما كان ذهباً ، وما كان فضّة يعرف بالدرهم .

---

*: بني ملاح : ذكر ابن خلدون " أنّ بني ملاح هؤلاء إستخلصهم السلطان أبي حمو الأوّل لحاجته سائر أيامه ، وكان مسمى الحجابة عندهم قهرمان الدار والنظر في الدخل والخرج ، وهم أهل بيت قرطبة ، كانوا يحترفون فيها بسكّة الدنانير والدراهم ، وربّما دفعوا إلى النظر في ذلك ثقة بأمانتهم ونزل أوّلهم بتلمسان مع جالية قرطبة فاحترفوا بحرفتهم الأولى وزادوا إليها الفلاحة واتصلوا بخدمة عثمان بن يغمراسن وابنه ، وكان لهم في دولة أبي حموالأوّل مزيد حضوة وعناية فولى على حجابته منهم لأول دولته محمد بن ميمون بن ملاح ثم إبنه محمد الأشقر من بعده ، ثم إبنه إبراهيم بن محمد من بعدهما واشترك مع قرابته علي بن عبد الله بن الملاح ، فكانا يتوليان مهمة بداره ويحضران خلوته مع خاصته " ينظر تاريخ العبر ، ابن خلدون ، الجزء 7 ، ص 124 وما يليها.

(1): نفسه ، ج7، ص124 و125.

(2): المسكوكات المغربية ، صالح بن قربة ، المؤسسة الوطنية للكتاب ، الجزائر ، 1986 ، ص 29 و33 و34.

(3): السوق في الدولة الزيّانية،ب طيب الهوارية، مذكرة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ والحضارة الإسلامية ، 2002-2003 ، جامعة وهران ، ص 52.

(4): المعيار المعرب و الجامع المغرب ، عن فتاوى علماء إفريقيا والأندلس والمغرب، الونشريسي، الدكتور محمد حجي ، دار المغرب الإسلامي ، لبنان 1401/1981 ، ج 5 ، ص 202 .

1-2 الدينـــــار :

هو إسم ذو أصل إغريقي DENARUS باللاّتينية ، أطلق هذا اللّفظ في البداية على القطعة الفضيّة، وبعد الإمبراطورية القسطنطينية أصبح مرادف لـــ SOLIDUS وهي قطعة ذهبية .[1]

كـــان دينـــار الدولة الزيّانيـــة يتراوح بين 4.48 غ ، و4.95 غ ، وطول القطر يتراوح بين 31 مم و34 مم[2].

- ربعه = حوالي 1.05 غ ، طول القطر 14 مم [3]
- نصف = 2.22 غ : 2.26 غ ، أماّ عن طول القطر فهم 25 مم[4] .
- ثمنه : حوالي 0.25 غ ، طول القطر يتراوح من 6 مم إلى 8 مم [5]

(1) : Lewis PELLAT , Encyclopédie de l'Islam , Paris , 1977 , T2 , P 305 .

(2): Henri LAVOIX- Catalogue des Monnaies Musulmanes de la bibliothèque National publié par ordre du Ministère du l'Instruction Publique et des Beau – Arts , Imprimerie Nationale. Paris, Août 1891 , PP :461-465.

(3): أنظر جدول رقم 04 ص 33.
(4): أنظر جدول رقم 03 ص 32.
(5): أنظر جدول رقم 05 ص 33.

2-2 الـدرهـم :

يعرف بهذا الإسم باليونانية وبالفارسية بـ : درم[1] . وزن الدرهم الشرعي يبلغ حوالي سبعة أعشار أي 10/7 بما يعادل 48 حبة* وحوالـي2,97 غ ،باعتبار أنّ وزن المثقال الشرعي يعادل أو يبلغ 4,25 غ ، ويعادل ذلك 72 حبة من الشعير [2] ، ودرهم الدولة الزيّانية يبلغ وزنه 1,5غ وأجزاؤه هي النصف، والربع والثمن [3].

نعلم أنّ **عبد الملك بن مـروان الأمـوي** هـو أوّل خليفـة سـكّ النقـود في الإسلام عـام 76هـ(695م) ونقشها بالعربية بعد أن كانت من قبل منقوشة بالفارسية أو بالرومانية حيث كان التعامل جاريا بها عند العرب في الجاهلية وصدر الإسلام ، وكانت النقود التي ضربتها سكّة ثلاثة أصناف :

أ- الدنانير وهي السكة المضروبة من الذهب

ب- الدراهم وهي السكة المضروبة من الفضّة

ج- الفلوس وهي السكة المضروبة من المعادن الأخرى كالنحاس والقصدير .[4]

فنجد أنّ النقود الزيّانية لم تختلف عن النقود الموّحدية ، فقد ضلّ معمولاً بالدنانير والدراهم في دولة بني عبد الواد ، وظلت النقود التي ضربتها الدولة العبد الوادية ذهبيّة وفضيّة واحتفظت بنفس الأشكال ولا يميّزها سوى البيانات التي كانت تحتويها ، وعلى الرغم من الصراع بين يغمراسن وجيرانـه الحفصيين فقد ظلّ التعامـل بين دول المغرب الثلاثة بعملة ذهبية هي الدينار وبعملة فضيّة وهي الدرهم ، كانت قيمتها ثابتة ومتقاربة نسبياً، الأمر الذي كان يدعوا الدول الأخرى الإسلامية المشرقية والمسيحية إلى الوثوق بها [5].

---

(1): Lewis PELLAT , Encyclopédie de l'Islam.Op , Cit, T2,P 305

*: ذكر أبو الحسن الشاذلي في مخطوطه أنّ الدرهم الشرعي يعادل 55 حبة . ينظر مخطوط أبي الحسن الشاذلي – ضمن مخطوطات الحضارة الإسلامية . وهران ، ص 103.

(2): المقدمة ، إبن خلدون ، ص 206.

(3): ينظر، السوق في الدولة الزيّانية، بطيب الهوارية ، نقلاً عن التجارة الخارجية لتلمسان ، بشاري لطيفة ، ص 54.

(4): باقة السوسان ، الحاج محمد بن رمضان شاوش، ص 351.

(5): الدوحة المشتبكة في ضوابط دار السكة ، ابن يوسف الحكيم ، تحقيق حسن مؤنس ضمن صحيفة معهد الدراسات الإسلامية في مدريد ، العدد 1 و2 1958 ، ص 68 وما يليها .

وقد كان الدينار يتصدر باقي أنواع العملة ، ثم الدراهم التي كانت تنقسم إلى وحدات لتفي بضرورة المعاملات التّجارية وهي كالتالي : الدرهم، والنصف ، والربع ، والثمن[1] . واختلفت الكتابات التي نقشت عليها باختلاف العهود والملوك ، لكنّها في النهاية كانت تعبّر عن وضع ما ، فهذه العبارات وما تحمله من ذكر لأسماء الله الحسنى ، ودعاء وحمد وشكر ، تحمل دلالات قد تترجم نفسية الملوك وما يؤمنون به ، وما وصلت إليه الدولة في عهدهم من قوة أو ضعف.

وعملة الدولة الزيّانية لم تحلّ في هذه العبارات التي كانت تتغيّر من ملك إلى آخر، ففي عهد أبي حمو الأوّل وخلفه كتبوا على سكتهم عبارة " ما أقرب فرج الله " ، وذلك منذ إنفكاك الحصار عن دولتهم[2] الذي كان مفروضاً عليهم من طرف المرينيين منذ سنة 698 هـ (1299–1300 م) على عهد يوسف بن يعقوب*، والذي امتدّ إلى غاية أواخر سنة 706هـ (1307–1308 م) .

وأخيراً يمكن القول أنّ عملية الدينار هي التي كانت تتعامل بها دول المغرب الثلاثة ويثبت ذلك صاحب نظم الدر ، حين يتطرق إلى الصلح الذي وقع بين أبي زكريا الحفصي ويغمراسن ، فيقول : " وأقطعه بلاداً من إفريقيا جبايتها مائة ألف دينار إعانة عن موافقة بني عبد المؤمن".[3]

فهذا بيّن لنا أنّ عملة الدينار كانت موجودة في العهد الزيّاني[4] .

---

(1): الدوحة المشتبكة في ضوابط دار السكة ، ص 102 ،103.

(2): نزهة الأنصار في عجائب التواريخ والأخبار، محمود مقيدش ، تحقيق علي الزاوي ، محمود محفوظ ، دار الغرب الإسلامي، بيروت ، لبنان ، ط:1982، ج 1 ، ص 524.

*: يوسف بن يعقوب : ولد في ربيع الأول من سنة 638 هـ ، بوسع خلفاً لأبيه يعقوب عزة صفر 685 هـ، قتل على يد حطبة الذي يدعى سعادة بحضرة تلمسان الجديدة (أي المنصورة) يوم الأربعاء 07ذي القعدة 706 هـ ، ينظر ، الأنيس المطرب بروضة القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس ، دار المنصورة للطباعة والوراقة، الرباط ، 1973 ، ص 388.

(3): نظم الدر ، التنسي ، ص 118.

(4): ينظر ، الدولة الزيّانية في عهد يغمراسن ، بلعربي خالد، ص 194.

وقد سكّت النقود في كل حواضر العالم الإسلامي في العصور الوسطى شرقا وغرباً، فضربت السكّة في الشام والعراق وبلاد فارس ومصر وشمال إفريقيا والأندلس ، وكانت النقود الإسلامية تختلف حجماً وشكلاً ووزناً باختلاف الأقاليم والدول المعاصرة ، وكانت دار السكّة تعدّ أهم مؤسسات التي لعبت دوراً هاماً في حياة المجتمعات الإسلامية ، فالعملة النقدية كانت لها مكانة إقتصادية عالمية، حيث ظلّت العملة المغربية الذهبية منها خاصة محلّ إهتمام وطلب الدول الأوربية التي كانت تصرّ على أن يكون التعامل التجاري قائماً بها ، بينما كانت المقايضة تحتلّ الدرجة الثانية في سلّم التعامل التجاري، ولاشكّ أنّ سكّ الدنانير كان يستهلك كميات كبيرة من الذهب الخالص الذي كانت تستورده هذه الدول بما فيها الدولة الزيّانية من بلاد السودان [1].

ولقد تساءل العديد من الباحثين عن سبب إصرار الدول الأوربية على أن تكون قيمة الدفع مقابل صادراتها ذهباً وليس مقايضاً كما كانت تفعل الدول المغربية ، الحفصية ، المرينية والزيّانية ، فكانت ما تصدّره تأخذ عوضاً عنه ما قدره بضاعة ، وهذا راجع حسب **دوفورك** إلى الحاجة الملحة لهذا المعدن الثمين وقلّة الموارد الدول الأوربية منه ، والجدير بالملاحظة أن نسبة تبديل العملة الأجنبية إلى العملة الزيّانية كان يتمّ على أساس 01 دينار ذهبي مقابل 08 بزنطياً أي 80 درهماً فضياً ، في حين كان الدينار الحفصي يقابل 05 بزنطياً أي 50 درهماً ، أمّا في عهد ضعف هذه الدولة فلقد ذكر الوزان:" أنّ 01 دينار زياني المسكوك من الذهب الرديء يساوي ديناراً وربعاً من العملة الإيطالية التي كانت تسمى بسلاسي المعروفة بحجمها الكبير جداً" [2]. كما كانت توازي ثلاث مثاقيل ذهباً زيانية ثلاثة دوكات ونصف دوكة إيطالية والدوكة هي عملة إيطالية ذهبية ، كانت تزن في عصر الوزان حوالي 03 غراماً و532 سنتغراماً [3].

(1): ينظر،السوق في الدولة الزيانية ، بطيب اهوارية ، ص 59.

(2): وصف إفريقيا ، الوزان ، ج2 ، ص 23.

(3): نفسه ، ج 2 ، ص 21.

3-3 نماذج من كتابات موضوعية على السكّة الزيّانية :

*1/ عهد أبي حمّو موسى الأوّل : (707 هـ/ 1307م – 718 هـ/1318 م) :

كتب على أحد وجهي الدينار ما يلي :

- **الوتـــر** : ضرب بمدينة تلمسان حرسها الله تعالى وأمنها

- **المركـــز** : على أمر عبد الله

موسى أميـــــــر

المسلمين المتوكّل

على ربّ العالمين

أيّده الله ونصـــره

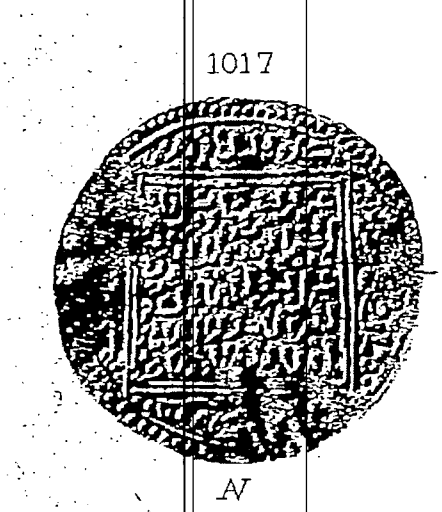

وفي الوجه الآخر كتب ما يلي :

- **الوتـــر** : وإلهكم إله واحد لا إله إلاّ هو الرحمن الرحيم

- **المركـــز** : بسم الله الرحمن الرحيم

صلى الله على محمّـــد وآله

لا إلـــــــــــــــه إلاّ الله

محمّـــــد رســـــــول الله

مـــا أقـــرب فـــــــرج الله

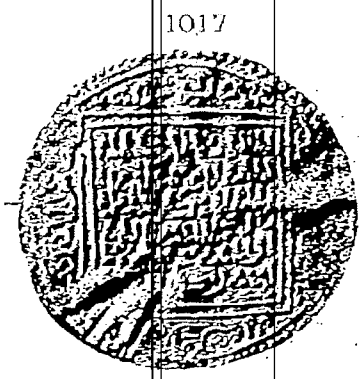

كان هذا الدينار يزن 4.66 غ، وطول قطره 32 مم[1]

(1) : Henri LAVOIX- Catalogue des monnaies Musulmanes. OP.Cit PP 459-462.

*2/ عهد أبي تاشفين الأوّل (718هـ/1318م – 737 هـ /1336 م):

كتب على وجهي عملته ما يلي :

- **الوتـــر** : أمير المؤمنين عبد الرحمن أبي الخلفاء الراشدين

- **المركـــز** : لا إله إلاّ الله

محمد رســـول الله

ولا غالـــب إلاّ الله

والأمـــر كلـــه لله

ولا قوة إلاّ بـــالله

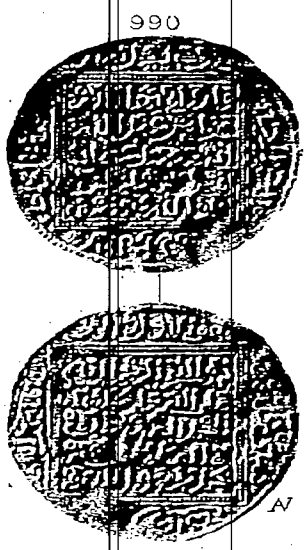

وفي الوجه الآخر كتب ما يلي :

- **الوتـــر** : ضرب بمدينة تلمسان أبقاها الله تعالى للمسلمين

- **المركـــز** : بسم الله الرحمن الرحيم

صلى الله على محمد وعلى آله

والحمـــد لله ربّ العالميـــــــن

والشكـــر لله على نعمتـــــــــه

والشكـــر لله يـــوم الـــــديـــن

وهذا الدينار التشفيني يزن 4.55 غ وطول قطره يبلغ 31 مم[1] وسط ديناراً آخر كتب عليه:

- **الوتـــر:** ضرب بمدينة تلمسان حرسها الله تعالى وأمّنها
- **المركـــز:** عن أمير عبد الله

المتوكّل على الله

عبد الرحمـــــن

أمير المسلميـــن

أيّده الله ونصره

وفي شقه الآخر كتب :

- **الوتـــر:** وإلهكم إله واحد لا إله إلاّ هو الرحمن الرحيم
- **المركـــز:** بسم الله الرحمن الرحيم

صلى الله على محمد

لا إلـــــــــه إلاّ الله

محمـــــد رسول الله

ما أقرب فـــــرج الله

كان هذا الدينار يزن 4,58 غ ، وطول قطره 32 مم[2]

(1) : Henri LAVOIX- Catalogue des monnaies Musulmanes. OP.Cit PP 461

(2): نفسه ص 461 ،462.

*3/ عهد الملك أبي العباس أحمد (834هـ/1430 م. 866هـ /1461 م) :

ضرب نصف الدينار الذي يزن 2,22غ وطو قطره يبلغ 25 مم ، وقد كتب عليه

- **الوتـــر**:.....الله *

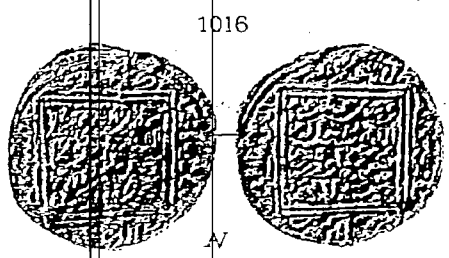

عن أمر عبد الله

المعتصـــــم بالله

أمير المسلميـــن

أبو العباس أحمد

وفي الشق الآخر كتب عليه:

- **الوتـــر**: الكتابة غير واضحة
- **المركـــز**: ومـــن يعتصـــم

بـــالله فقـــــــد

هدي إلى صراط

مستقيـــــــــم (1) **

---

*: الفراغ سببه أنّ الكتابة غير واضحة على مستوى الوتر للعمل المعثور عليها وهذا ما ذكره هنري لافوري.

(1): نفسه ص ص : 462-463.

**: مقتبس من الآية، رقم 101، سورة آل عمران .

4/ عهد الملك أبي عبد الله محمد المتوكّل على الله (1461/866 م. 873هـ /1468 م):

ضرب هذا الدينار والذي كان وزنه 4,48غ وطول قطره يبلغ 34 مم ، كتب على أحد شقيه :

- **الوتـــر** : (... الكتابة غير واضحة)
- **المركـــز** : المتوكّـــل على الله

أميـــــر المسلميـــن

ابن مولانا أبي زيان

محـــمّـــد أيـــده الله

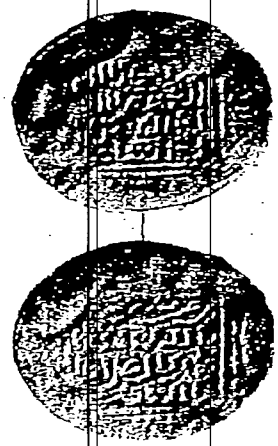

وفي الشق الآخر :

- **الوتـــر** : (أيضاً غير واضحة الكتابة)
- **المركـــز** : ومن يتوكّل على

الله فـــــــهـــــو

حسبـــــــــه إنّ الله

بالغ أمره قد جعـــل

الله لكل شيء قدرا [1] *

(1) : Henri LAVOIX- Catalogue des monnaies Musulmanes. OP.Cit PP 463

* : مقتبس من سورة الطلاق ، الآية 03

*5/ **محمد الملك أبي عبد الله محمد (1504/910 م. 923هـ /1517 م)** :

سك ربع الدينار الذي كان يزن 1,05غ ، وطول القطر 14 مم : كتب على أحد شقيه :

- **الوتـر:** ضرب بمدينة تلمسان
- **المركـز:** أبـــــو عـــــبد

الله محمّـــــــــد

نصـــــــــره الله

وفي الشق الثاني :

- **الوتـر:** بسم الله الرحمان الرحيم
- **المركـز:** لا إلـــــــتـــــه إلاّ

الله محمّـــــــــد

رســـــــــول الله [1]

(1) : Henri LAVOIX- Catalogue des monnaies Musulmanes. OP.Cit PP 464

جدول رقم (1) :

صاحب الأشغال	تحت ولاية	السنوات
عبد الرحمن بن محمد بن الملاح	يغمراسن بن زيان [1]	646هـ-681هـ 1248م-1282م
منديل بن المعلم. أبو عبد الله محمد بن سعود	أبو سعيد عثمان بن يغمرا سن	681هـ-703هـ 1282م-1303م
أبو المكارم منديل بن محمد بن المعلم	أبو زيان ابن أبي سعيد	703هـ-707هـ 1303م-1307م
أبو عبد الله محمد بن سعود أبو المكارم منديل بن محمد بن المعلم	أبو حمو بن أبي سعيد	707هـ-718هـ 1307م-1318م
أبو عبد الله محمد بن سعود أبو المكارم منديل بن المعلم	أبو تاشفين بن أبي حمو	718هـ-737هـ 1318م-1336م
أبو زكرياء يحيى بن محمد بن عبد الرحيم/ يحيى بن أبي العيش الخزرجي التلمساني[3]./ محمد بن قضيب الرصاص [4].	أبو حمو موسى الثاني	760هـ-791هـ 1358م-1389م(2)

(1): يحيى بن خلدون-بغية الرواد. تحقيق عبد الحميد حاجيات. المكتبة الوطنية ، الجزائر, 1980 ، ج 1 ، ص 205

(2): نفس المصدر, ج 2 ، ينظر في الصفحات التالية : 104،2015،212،210،208.

(3): بن الأحمر – روضة السرين , تحقيق عبد الوهاب ابن منصور ، المطبعة الملكية، الرباط ، ط2، 1991 ، ص 69.

(4): يحيى بن خلدون-بغية الرواد، المصدر السابق، ج 2، ص 193.

5-2 كتل وأبعاد الدنانير الذهبية للدولة الزيّانية [1] :

جدول رقم: 2 *** الديـنـــار***

العملة	الوزن بالغرام	طول القطر بالـ : مم	مكان الضرب	العهد
الدنانير	466	12	تلمسان	أبو حمو الأول 707هـ-718هـ 1307م-1318م
	455	31	تلمسان	أبو تاشفين الأول 718هـ-737هـ 1318م-1336م
	458	32	تلمسان	// //
	448	34	تلمسان	أبو عبد الله محمد المتوكل عطى الله 866هـ-873هـ 1461م-1468م
	452	32	تلمسان	أبو عبد الله النايلي873هـ-910هـ 1468هـ-1504هـ أو لإبنه أبو عبد الله محمد بن النايلي
	465	32	سبتة	// //
	463	30	سجلماسة	// //
	462	31	//	// //
	462	29	//	// //
	444	29	فاس	// //
	465	30	//	// //
	465	30	//	// //
	465	30	//	// //
	450	30	بدون	بدون
	445	29	//	//
	495	30	//	//
	465	30	//	//
	458	30	//	//

(1) : Henri Lavoix. Catalogue des Monnaies de la Bibliothèque National. Publié par ordre du Ministre du l'instruction Publique. Paris Imprimerie national, Août 1891 P459/476.

جدول رقم : 3 * أنصاف الدينار *

العملة	الوزن بالغرام	طول القطربالـ :مم	مكان الضرب	العهد
نصف الدينار	239	22	فاس	أبو عبد الله النايلي وإبنه أبو عبد الله محمد بن النايلي 873هـ-910هـ 1468هـ-1504هـ 910هـ-923هـ 1504م-1517م
	226	25	تلمسان	//
	222	25	تلمسان	أبو العباس أحمد بن أبي حمو 834هـ-866هـ 1430م-1481م

جدول رقم : 4 *** أرباع الدينار ***

العملة	الوزن بالغرام	طول القطر بالـــ :مم	مكان الضرب	العهد
ربع الدينار	105	14	تلمسان	أبو عبد الله محمد النايلي 910هـــ-923هـــ
	115	17	بدون	بدون
	115	16	بدون	بدون
	115	16	بدون	بدون
	115	15	بدون	بدون
	114	15	بدون	بدون
	113	16	بدون	بدون
	110	20	بدون	بدون
	105	20	بدون	بدون

جدول رقم : 5 *** ثمن الدينار ***

العملة	الوزن بالغرام	طول القطر بالـــ : م م	مكان الضرب	العهد
ثمن الدينار	0.52	6	بدون	يجهل
	0.56	8	بدون	يجهل

الفصل الثاني

الدعائم الإقتصادية للدولة الزيانية

أولاً : الفلاحة

- نظام ملكية الأراضي
- الثروة الزراعية
- الثروة الحيوانية

ثانياً: الصناعة

- العوامل المساعدة على إزدهارها
- المراكز الصناعية بتلمسان الزيانية
- المنتوجات الحرفية المحلية المعروضة

ثالثا : التّجارة

- أنواع التّجار في المملكة الزيانية
- التّجارة مع السودان الغربي
- صادرات وواردات الدولة الزيانية

لقد كان اقتصاد الدولة الزيّانية (646، 952)هـ/(1248، 1545)م يرتكز على ثلاث دعائم أساسية هي . الفلاحة، التّجارة، الصناعة. فالفلاحة لوحدها كانت توفّر للدّولة مداخيل معتبرة ، ولغالبية سكانها تعتبر المصدر الوحيد لدخلهم، أمّا النشاط التجاري الذي كان مزدهراً بها فقد كان يحتلّ المرتبة الثانية في سلّم مداخيلها ، تليها الصناعة في المرتبة الثالثة التي لم تكن ترقى إلى مستوى تصنيع المعدّات الحربية ، و عتاد السفن ، فاقتصرت على النشاطات الحرفية و الصناعات النقّدية ، هذه الدعائم الثلاثة كانت عماد إقتصاد الدّولة الزيانية ، سنأتي على ذكرها بشكل من التفصيل .

أولاً : الفلاحـــــة:

تشكّل الفلاحة ركيزة اقتصادية هامّة للدولة الزيانية فناحية تلمسان سهلية جبلية وعلى هذا فمحصولاتها الزراعية كلّها راجعة إلى ما تنتجه الأرض في البسائط و السهول وما تنتجه في الجبال والوهاد. وفي هذا الصدد هناك مجموعة من المشاكل التي تعترض طريق الباحث كما جاء به الدكتور خالد بلعربي" من بين المشاكل التي تعترض سبيل الباحث في محاولة التّعرف على الهياكل الإقتصادية والإجتماعية في المجتمع الزراعي الزيّاني هي نظام ملكية الأرض وهذه الأخيرة لا يمكن فصلها عن بقية بلدان المغرب الإسلامي لأنّها تشكل جزاءاً منها ." [1]

سنحاول في البداية توضيح كيف كانت ملكية الأراضي عند الزيّانيين وأنواع الأراضي ومن بعد ذلك نتطرق إلى التعرّف على الثروة الزراعية والثروة الحيوانية .

(1): الدولة الزيانية في عهد يغمراسن دراسة تاريخية وحضارية (633 هـ،681 م/1235 هـ،1282 م)، بلعربي خالد ، ص 157.

★1/ نظام ملكية الأراضي:

إنّ كتب الرحالّة العرب تمدّنا ببعض المعلومات عن المناخ والموارد المائية وعن زراعة البستنة في ضواحي المدن، وعن أنواع الزراعة وتربية المواشي ، لكنّها لا تفيدنا بشيء ذا شأن عن نوع الملكية وأوجه إنتقالها وأساليب إستغلالها ، يرى حساني مختار أنّ المصادر الإسلامية أمدّتنا بمعلومات دقيقة عن ملكية الأرض في العراق ولا سيما أراضي السواد و كذلك مصر و بلاد الشام .

ويبدو له أنّ العرب المسلمين الفاتحين الأوائل قد انتهجوا نفس السياسة التي سلكوها في العـــراق وبلاد الشام وخاصّة في مصر ، حيث كان المغرب الإسلامي تابعاً لها في المراحل الأولى للفتح [1]، فهناك صعوبة أخرى تعترض أي باحث في تاريخ المغرب الإسلامي وكيف تمّ فتح بلاد المغرب ، هل فتحت أراضيه عنوة* أو صلحاً **.

فقد تعرّض الونشريس في كتابه المعيار لهذه القضية فقال: " سئل بعضهم عن أرض المغرب، فقيل أنّها عنوية " وقيل بالتفصيل بين السهل والجبل ، وقيل بالوصف ،أمّا بلاد المصامدة وأراضي مراكش فقد أسلم عليها أربابها ، و ليس فيها صلح ولا عنوة ." [2]

كما روي عن أبي القرشي قوله: " أدركنا أهل الفقه والورع في بلاد الأندلس يشترون الأرض فيهَا و يبيعون ونحن متبعون لهم ، وأنتم تتبعون أسلافكم في مغربكم ."[3]

(1): ينظر ، تاريخ الدولة الزيانية ، الأحوال الإقتصادية و الثقافية ، حساني مختار ، ج 2 ، ص12 ، 13.

*: العنوة: هو ضدّ الصلح: فقالوا العنوة هي أخذ الشيء بالغلبة ، ينظر ، معجم البلدان ، ياقوت الحموي ، ج 1، ص 40.

**: الصلح: معنى الصلح من الصلاح ضدّ الفساد ، والصلح هنا ضدّ الخلف ومعناه أنّ المسلمين إذا نزلوا على حصن أو مدينة خالفهم أهلها فخرجوا إلى المسلمين و بذلوهم على ناحيتهم مالاً أو خراجاً ، نفسه، ص 39.

(2): المعيار والمعرب والجامع المغرب عن فتاوى علماء إفريقية والأندلس والمغرب، تحقيق مجموعة من الأساتذة بإشراف محمّد حجّي، دار المغرب الإسلامي، بيروت 1981، ج 6، ص ص 133، 134.

(3): الدولة الزيانية في عهد يغمراسن ، بلعربي خالد ، ص 157 نقلاً عن المازوني ، الدرر المكنونة في نوازل مازونة ، ج 2 ، (مخطوط) الخزانة العامة الرباط تحت رقم 521، ص 45.

فالنصيّن لم يوضّحا لنا وضعية الأراضي في بلاد المغرب الإسلامي وهذا جعل بعض الباحثين كالجنحاني يرى أنّه يمكن قياس ملكية الأرض وتنظيم الخراج بالقياس إلى مصر وهو قياس مع الفارق لأنّ الخراج وضع على أرض مصر من أوّل لحظة ، أمّا أراضي المغرب الإسلامي فقد أسلم عنها أهلها فيما عدا أراضي الفئة الحاكمة وفئة النبلاء البزنطيين فقد أصبحت ملكاً عاماً يتصرف فيها الأمير باسم الخليفة ويقطع منها، وهذه يستوي فيها جميع الولايات الإسلامية في المشرق والمغرب.[1]

وخلال القرن التاسع للهجري الخامس عشر ميلادي نجد من بين الذين تعرّضوا لنظام الملكية العقباني ، فأثناء حديثه عن الحكم في أرض الصلح والعنوة ، قال قلت: " وأمّا الأرض التي تخلّى عنها أهلها بغير قتال فهي للمسلمين يقطعها الإمام إقطاع تمليك إن ظهر له وجه المصلحة في ذلك وأمّا الأرض التي أسلم عليها أهلها بغير قتال ولا أخذت عنوة فهـم يبيعون ويتصرّفـون فيها كيف ما شاؤوا وليس للأئمة المسلمين نظر فيها."[2]

فأغلب الظنّ أنّ معظم الأراضي في المغرب الإسلامي ومن بينها أراضي الدّولة الزيانية كانت قد تركت لأصحابها إبّان الفتح الإسلامي فيما عدا الخطط التي وضعها حسان بن النعمان لبعض بطون زناتة بغرض تحديد أماكن خاصّة بكل بطن من بطونها وكان الهدف الأساسي العمل على استقرارها، ولهذا نرى أن الملكية انتقلت عن طريق البيع والشراء والتوريث ، لأنّ الفاتحين لم يتركوا عناصر عربية على الخصوص في الأرياف ، ولعلّ السبب في ذلك يرجع إلى أنّ الأراضي المغربية بعد الفتح الإسلامي بقيت لأصحابها ولم تنزع منهم مثل ما حدث في المشرق الإسلامي خلال العهد الأموي.[3]

(1): ينظر، باقة السوسان الحاج محمد بن رمضان شاوش، ص 320 ، تاريخ الدولة الزيانية ، حساني مختار ، ج 2 ، ص 14.

(2): تاريخ الدولة الزيانية، حساني مختار ، ج 2 ، ص 14 ولمزيد من المعلومات ينظر الذر المكنونة في نوازل مازونة مخطوط بالمكتبة الوطنية تحت رقم 1335 1336.

(3): ينظر، تاريخ الدولة الزيانية ، حساني مختار ، ص 15 والدولة الزيانية في عهد الدولة الزياينة، بلعربي خالد ، ص 157.

فالملكية تنقسم إلى قسمين في المغرب الإسلامي عامة وخاصة ، فالأولى تخصّ البادية حيث وجدت بعض الأراضي امتلكت من طرف قبائل قام أفرادها بالعمل فيها بطريقة جماعية ، وتسمى بأراضي العروش أي الملكية المشاعة وكذلك الحمي* وهو ما تحميه القبائل الرعوية من البدو الرحّل واستغلالها جماعياً في تربية المواشي . أمّا الخاصة فهي مجموع الأراضي الزراعية التي آلت بعد حبسها للإنفاق من عائداتها على المرافق العامّة مثل المساجد والمدارس والزوايا وما إلى ذلك. وقد زادت أهمية هذا الإتجاه منذ القرن السابع الهجري الثالث عشر الميلادي ، وأراضي الحبوس تابعة للدولة وتخضع مباشرة للسلاطين حيث يتصرفون فيها كيف ما شاؤوا وذلك بمنحها إقطاعيات لبعض الأشخاص المقربين من رؤساء القبائل ليستغلونها بعد ما قد عالج فقهاء الدولة الزيانية (شيوخ تلمسان) وأجازوا إقتسامها بغرض المغارسة وهذه الفتاوى صدرت عن المدرسة اليعقوبية .

والفرد الذي يمنح هذه الأراضي له الحرية الكاملة في إستثمارها والحصول على إنتاجها ، لكنّه لا يملك الحق في بيعها ، وهذا ما يؤكد لنا أنّ هذه الأراضي المقتطعة إنّما تقدّم مقابل خدمات يؤدونها للدولة. إذن يبدو لنا أنّ أراضي الدولة العبد الوادية تنقسم إلى نوعين :

❖ 1 / أراضي الوقـــف :

وهي تلك الأرض التي أوقفها أصحابها المسلمون لأغراض دينية [1] وتكشف لنا بعض المصادر عن وجود أراضي الوقف بالدولة العبد الوادية وذلك تحت زيادة التأثير الديني على المجتمع الزياني حيث آلت الأراضي الفلاحية بعد وقفها للإنفاق من عائداتها على المرافق العامّة مثل المساجد و المدارس و الزوايا، وكانت بعض الزوايا تملك مقاطعة بكاملها في دولة بني عبد الواد، وتشير بعض المصادر أنّ زاوية "سنا"** بسهل البطحاء كانت تشتغل أراضي تلك المنطقة بأكملها، وهذا على الأقل يثبت وجود أراضي الوقف في الدولة العبد الوادية .[2]

---

*: الحمي: يعني في الأرض الكلأ و الماء وذلك يتعدّى مساحة الأرض لرعي الماشية ، نفسه ، ص 15.

(1): الأوضاع الإقتصادية و الإجتماعية في المغرب الأوسط، جودت عبد الكريم يوسف، ص 17.

**: يذكر الحسن الوزان أن أراضي سهل البطحاء كانت تعرف بأراضي سنا و حتى المجرى الأدنى لوادي مينا، ينظر وصف إفريقيا، الحسن الوزان، ص 396.

(2): ينظر، الدولة الزيانية في عهد يغمراسن ، بلعربي خالد ، ص 158.

❖ 2 / أراضي الإقطـــاع : *

وهي أراضي يقطعها الإمام لأحد المسلمين ليقوم بإستغلالها والإنتفاع منها ، وقد عرف المغرب الإسلامي نظام الإقطاع قبل قيام الدولة العبد الوادية ، حيث أقطع الموحدون قبيلة بني عبد الواد إقطاعات وفيرة بأحواز تلمسان.(1)

وقد عرفت الدّولة العبد الوادية هذا النوع من الأراضي، ويعتبر السلطان يغمراسن أوّل من عمل بنظام الإقطاع في دولة بني زيّان(2) ، حيث أقطع يوسف بن مهدي أحد مشائخ قبيلة سويد البطحاء وسيرات ، كما أقطع عنتر بن طراد بن عيسى وهو من مشائخ السويد براري البطحاء، يأخذون **أتاواتهم****من رعاياه.(3)

---

*: والإقطاع قديم في الدول، وأصله أنّ الملك إذا فتح بلاداً و أراد استبقائها واستعلاها فرّقها على قواده، في مقابل حربهم وأتعابهم ، كأنّها أجرة لهم ... و القواد يفرّقون تلك الأرض على ضباطهم ، وهؤلاء يفرّقونها على العساكر أو من يقوم مقامهم ، ويشترط الملك على قواده عند إعطائهم هذه الهبات أن يكونوا أمناء له في الحرب و السلم، فإن خان أحدهم ونكث رجعت الأرض إلى من واهبها ، وإن كان الخائن جنديا صغيرا رجعت إلى ضابطه، أو كان ضابطاً رجعت إلى قائده ، وهكذا حتى ترجع إلى الملك ، فكان من عواقب هذا المبدأ أن تبقى الأرض في أيدي الملوك بشروط وأساليب وضعوها لذلك.

أمّا في الإسلام فالإقطاع كان في كيفية أخرى ، وهي أنّ الأرض التي تقع في أيدي المسلمين وليس لها مالك يطالب بها ... كالأرض التي تكون لحاكم البلاد قبل فتحها، أو تكون لرجل قتل في الحرب ، أو أن تكون من مغيض ماء أو نحو ذلك ، فهذه الأصناف من الأرض كان الخلفاء الراشدون يجيزون إقطاعها لمن شاؤوا ، على أن يؤدي عشر مالها لبيت المال أو أكثر أو أقل، على ما يتراءى للخليفة .. فلما خرجت السلطة من الخلفاء وأفضت إلى السلاطين السلجوقية جعلوا الإقطاع عاماً، على يد نظام الملك ، الذي حوّل المملكة إلى إقطاعات ووزعت على الجند ، واقتدى به سائر السلاطين بعده، ... ثم تعديل الإقطاع بعد ذلك وتبدّل ، فصارت بعض الأرض إقطاعاً وبعضها مبيعاً ، وبعضها موقوفاً ... والإقطاع نوعان: إقطاع إستغلال وإقطاع تمليك و هما يختلفان بإختلاف نوع الأرض من الخراب والخصب ، وحالها من الحرب والصلح ، ورأي الخليفة في ذلك- ينظر، نظم الحكم في دولة بني عبد الواد، بوزياني الدّراجي ، ديوان المطبوعات الجامعية ، الساحة المركزية ، بن عكنون ، الجزائر ، 1993 ، ص 208 .

(1): الأوضاع الإقتصادية و الإجتماعية في المغرب الأوسط ، جودت عبد الكريم ، ص 15.

(2): نظم الحكم في دولة بني عبد الواد ، بوزياني الدراجي ، ص 209.

**: والإتاوة بمعنى الخراج، أو الضريبة.

(3): العبر ، إبن خلدون ، ج 7 ، ص 77.

ولمّا أحسّ يغمراسن بن زيان بضعف موقفه تجاه جيرانه عرب المعقل ، سارع إلى إستقدام قبيلة بني عامر من أوطانهم من شرق البلاد ، وأقطعهم أراضي حول تلمسان بجواري بني يزيد لمنافسة عرب المعقل والدفاع عن دولته ، فكانوا بذلك أحلافاً له ضدّ خصومه وأعدائه من بني مرين.[1]

ونجد أنّ هذه الإقطاعات لم تقتصر على القبائل بل تعدّت عليه القوم والفقهاء ورجال العلم ، حيث قدّم العاهل التلمساني الفقيه أبي إسحاق إبراهيم يخلف التنسي (680هـ-1280 م) إقطاعات من جملتها تيشرت الذي يقع بمقربة من الحناية على أميال من تلمسان .

وإذا كان يغمراسن هو الذي يقوم بهذه الإسهامات في دولته فهو نفسه يعمل على إنهائها حتّى تتدهور علاقته بالقبائل التي أقطعها تلك الأراضي والدليل على ذلك موقفه من قبيلة سويد*، فبعد أن منحها إقطاعات في بلاد البطحاء وسيرات في عهد يوسف بن مهدي قام بطردها من التلول والأرياف إلى الصحراء بعدما ساءت العلاقة بينه و بين عمر بن مهدي بسبب فتنة حدثت في عهدها والتي أودت بحياة عمر بن المهدي .[2]

يتمّ النشاط الفلاحي في دولة بني عبد الواد على محورين رئيسيين : المحور الأوّل ويتحقق في الأعمال الزراعية ، والمحور الثاني يعتمد على تربية المواشي والإبل.

---

(1): العبر ، يحي ابن خلدون ، ج 6 ، ص 42.

*: تتواجد قبيلة **سويد** في الغرب الجزائري و خاصة بحوض وادي الشلف و منطقة الظهرة و تنقسم بدورها إلى عدّة بطون منها :الحساسنة، أولاد الميمون.

(2): الدولة الزيانية في عهد يغمراسن ، بلعربي خالد ، ص 159.

*2/ الثـــروة الزراعيـــة :

من القطاعات الحيوية التي أولتها الدّولة الزيانية عناية كبيرة حتى صار الغالب على أهلها مهنة الفلاحة ، فقد كانت الزراعة مزدهرة والمحاصيل بها وفيرة ، وهذا ما ندركه من خلال قول يحيى ابن خلدون " غالب تكسبهم من الزراعة " وقول لسان الدين ابن الخطيب في وصفه لسكّان تلمسان " ولا فلاحة إلاّ لمن أقام رسم الفلاحة "[1] , وكانت حسب ابن خلدون متقدمة* عن باقي وجوه الرزق الأخرى، من صناعة بسيطة طبيعية وفطرية ، ولا تحتاج إلى نظر أو علم[2] ، ونتيجة لهذا المجهود فقد ظهرت عائلات و بيوت اشتهرت بالفلاحة كبيت ابن مرزوق.[3]

إنّ وفرة الإنتاج الفلاحي ساعدت على إستمرارية الدولة التي إعتمدت أسلوب وسياسة التخزين[4]، إذ كانت الأطعمة تخزّن في الأهراء والمطامير المختومة، فظهر ما يعرف بخازئن الزرع.

ونجد أنّ أبا حمو موسى الأوّل ، حسب التنسي، بعد خروجه من الحصار مباشرة يقوم بتخزين الطعام والأدام[*]، والخبز والملح والفحم والحطب.

ومن هنا ندرك بأنّ الفلاحة أصبحت أقوى سلاح في يدّ الزيانيين في مدافعة ومواجهة سياسة الحصار والتجويع التي إنتهجتها جارتاها تجاهها .

---

(1): نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، المقري، دار صادر، بيروت ، طبعة 1968، تحقيق إحسان عباس، ج 7 ، ص 135.

(2): المقدّمة: عبد الرحمن إبن خلدون، ص 302.

(3): نفسه ، ص 114.

(4): ربما كان عدم الإستقرار الذي تشهده المنطقة ، عاملاً مهماً في ظهورها إضافة إلى التقلّبات المناخية التي كانت تعود سلباً على الإنتاج، وقد إنتهجت هذه السياسة في عدة دول سبقتها كالدولة الحمّادية ، التي جعلت من القلعة مكاناً لتخزين الحنطة ليمرّ عليها الحولان فأكثر ولا تفسد ولا يعتريها التغيير، كما أنّها كانت تمرّ على المنطقة سنوات من القحط حسب ما يرويه صاحب البستان حين يقول :" وذكر لي من أثق به أنّه سمع من بعض النّاس أنّه كان بتلمسان فيما تقدم غلاء شديد تعطّلت الصلاة بسببه في كثير من المساجد" البستان في أخبار علماء و أولياء تلمسان، ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر 1986، ص 33.

*: جاء في الحديث الشريف " نعم الإدام الخل" فالأدام بالكسر و الأدمُ بالضم : ما يؤكل به الخبز أي شيء كان ، وفي الحديث " سيّد أدام أهل الدنيـــا و الآخرة " ومن الفقهاء ما لا يجعل اللحم أدما يقول: لو حلف أن لا يادم ، ثم أكل لحماً لم يحنث، وجمع الأدم أدام، يقال أدم الخبز أي خلطه بالأدم. لسان العرب لابن منظور ، دار صادر، المجلد 1، حرف الألف، ط3، بيروت ، 2004.

أمّا فيما يخصّ منتوجات الدولة الزيانية الزراعية فهي عديدة ومتنوعة و وفيرة حتّى أنّ صاحب كتاب الإستبصار أشار إلى ذلك بقوله: " والمغرب الأوسط مدن كثيرة وهي كثيرة الخصب و الزرع، كثيرة الغنم والماشية ، طيبة المراعي ومنها تجلب الأغنام إلى بلاد المغرب والأندلس".[1]

حقاً فقد كانت الدّولة العبد الوادية وفيرة الإنتاج الزراعي، وهذا ما نستشفه من خلال ما يشير إليه إبن خلدون " بساتين قد غرست "[2] في تلمسان ، وتعرّض أيضاً إلى بعض المنتوجات الزراعية التي تثمرها أرض تلمسان من خلال قوله : " وتحف بخارجها الخمائل الألفاف والأدواح الأشبه و الحدائق الغلب بما تشتيه الأنفس وتلذّ الأعين من الفواكه و الرمان و التّين و الزيتون ... و تنصبّ إليها من على أنهار من ماء غيراسن تتجاذب به أيدي المذانب ... ويسقى ريغه خارجها مغارس الشجر ومنابت الحبّ "[3] ، وقد عبّر يحيى ابن خلدون في موضع آخر عن إعجابه ببساتين تلمسان مردداً: " وتوسّطت قطراً ذاكور عديدة تعمرها أمشاج العرب و البربر مريعة الجنبات منجبة للحيوان و النبات ، كريمة الفلح ، زاكية الإصابة "، فربما انتهت في الزوج الواحد بملاته منها إلى أربعمائة مدّ كبير وهو ستّون برشالة زنتها ثلاثة عشر رطاً من البرّ سوى الشعير والباقلاء، حسبما تضمّن ذلك رسم سنة ثمانين و خمسين و سبعمائة."[4]

فالبنسبة للإنتاج النباتي متنوّع ، ومنه القمح والشعير ، والفقوس و البطيخ والخيار والأجاص[5]، والرمان والزيتون والخصّ و الكرنب و اللّفت [6] ، ولعلّ ما إشتهرت به تلمسان في هذا المجال هو حبّ الملوك والذي لا تزال زراعته مستمرة إلى يومنا هذا ، إذ نجد هذه الفاكهة من أهمّ ما إستدعى إهتمام وانتباه لسان الدين ابن الخطيب في تلمسان وهذا ما نستشفه من خلال قوله :

---

(1): الدولة الزيانية في عهد يغمراسن، بلعربي خالد ، ص 160.

(2): العبر، يحيى ابن خلدون ، ج 7 ، ص 78.

(3): بغية الرواد، يحيى ابن خلدون ، ص 86.

(4): نفسه، ص 90.

(5): الإستبصار في عجائب الأمصار، مؤلف مجهول ، تحقيق سعد زغلول عبد الحميد ، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد ، 1976 ، ص 179.

(6): العبر، ابن خلدون ، ص 198.

"... إلاّ أنّها (أي تلمسان) بسبب حبّ الملوك مطمعة للملوك ..."[1] ، كما ونجد حتّى الرّحالة حسن الوزّان يعبّر عن إنبهاره بما تحتويه المدينة من عدد هائل من أشجار هذه الفاكهة، حين يقول بأنّ بصره لم يقع على مثلها فيما سبق من البلدان التي زارها ، و أعجب أيضا بتينها الحلو الأسود الفاخر الطويل ، الذي كان يدّخره سكان المنطقة جافاً لفصل الشتاء [2] كما يبالغ في وصفها يحيى ابن خلدون فيجعل منها جنّة تحتوي كل ما تشتهيه الأنفس وتلذّ به الأعين من الفواكه والرّمان والتّين والزيتون.[3]

و كانت الحبوب تنتشر بسهل متيجة*، برشك ، تنس ، مستغانم ، وهران ، أرشقول ، هنين ، مليانة ، تاهرت ، مازونة ، ندرومة ، تلمسان ، أمّا التمور فقد إنحصر إنتاجها بنواحي تلمسان وتيكرارين، وتواجد الزيتون بهنين ، واشتهرت مدينة الجزائر بالعسل و التّين ، واحتوت تنس ومدينة برشك على الكثير من الفواكه وخاصّة السفرجل المعنّق الحسن والطيب الرائحة والحلاوة ، الشبيه بالقرع الصغير ، إضافة إلى إنتاج الأعناب و العسل و الزرع والحنطة التي كانت تفوق حاجتهم ، أمّا مستغانم وندرومة فتواجد بهما القطن و الكتّان، واختصّت شرشال دون سواها بإنتاج الحرير .[4]

أمّا بالمناطق الجبلية التي كانت تصّعب فيها زراعة القمح أو الحبوب بصفة عامة ، فسادت زراعة الخروب ، وتبحريت التي تبعد عنها بنحو اثنى عشر ميلاً .[5]

لعلّ من أهمّ العوامل التي ساعدت على إزدهار الزراعة في مملكة بني عبد الواد ودفع سكان المنطقة على إمتهانها وممارستها وهو توفّر المياه وهذا ما نستنتجه من خلال قول الإدريسي حينما يصف لنا تلمسان قائلاً :

---

(1): نفح الطيب ، المقري ج 7 ، ص135.

(2): وصف إفريقيا ، الحسن الوزان ، ص 20.

(3): العبر، يحي ابن خلدون ، ص 86.

*: لا يزال هذا السهل الساحلي ، يحتفظ بهذا الإسم ، يقع بضواحي الجزائر العاصمة ، وهو من أخصب السهول في الجزائر و العالم.

(4): العلاقات السياسية و الإقتصادية للمغرب الأوسط مع إيطاليا وشبه الجزيرة الإيبيرية في عهد الدولة الزيانية ، إدريس بن مصطفى ، رسالة ماجستير في التاريخ ، تحت إشراف ، مبخوت بودواية ، 2006 ، ص 33.

(5): الوزان ، ص 13 ، 14.

" ولها نهر يأتيها من جبلها المسمى بالصخرتين ، وهذا الوادي يمرّ في شرقي المدينة ، وعليه أرجاء كثيرة وجوارها من المزارع كلها سقي ، أي توفّر المياه المخصصة لري البساتين و الحقول ، والتي كان مصدرها الأودية والأنهار الدّائمة الجريان آنذاك كوادي ملوية والتافنة والوريط المقصود في القول ونهر الشلف ".[1] ونجد أيضاً يحيى ابن خلدون يقول في هذا الصدد " دار ملك قديمة البناء طيبة الهواء كثيرة الفواكه والزرع ذات عيون غزيرة، وأعمال متعدّدة باردة المشتى لكثرة ثلجها ..."[2]

أمّا العامل الثاني وهو وفرة الأراضي الزراعية الخصبة لوقوع تلمسان ضمن المغرب الأوسط الذي حباه الله بموقع يتوسط عدداً من الكور المنتجة للحيوان والنباتات والكريمة الفلح الزّاكية الإصابة، على حدّ تعبير صاحب البغية ، إذ كانت سهول ملاتة بوهران تنتهي في الزوج الواحد إلى أربعمائة مد* كبير[3]، وأيضاً ما تدركه من صاحب الإستبصار في قوله :" وللمغرب الأوسط مدن كثيرة ، وهي كثيرة الخصب و الزرع."[4]

و من هذه المناطق ، مازونة ، متيجة و تسلة وتاهرت ، وسهول تلمسان ، أي تلك القريبة من الساحل.[5]

لكن كل هذا لا ينفي وجود بعض سنوات القحط و الأوبئة التي مرّ بها سكان تلمسان والتي هي من القضايا التاريخية البعيدة عن مناطق الضوء كما جاء في مقال نشره الدكتور بلعربي ، وذلك بسبب الحروب و سنوات الغزو إضافة إلى عوامل طبيعية متعلّقة بالمناخ كالجفاف أو العواصف، إذ يذكر المؤرّخون أنّ ريحاً عاصفة هبّت على المنطقة سنة 776 هـ/135 إقتلعت معظم المحاصيل الزراعية،

---

(1): وصف إفريقيا ، الإدريسي ، ص 100 و 101.

(2): بغية الرواد، يحي ابن خلدون ، ص 91.

*: المدوحده وزن قديم يقدرها يحيى ابن خلدون سبتين برشالة زنتها ثلاثة عشر رطلاً من البر.

(3): بغية الرواد، يحيى إبن خلدون ، ص 90.

(4): الإستبصار ، ص 176.

(5): وصف إفريقيا ، حسن الوزان ، ص 39-42.

فانتشرت المجاعة حتّى أكل النّاس بعضهم بعض ، فحينها تصدّق السلطـــان أبو حمّـــو موسى بنصف جباية خزينة الدولة على الرعيّة، حتّى إنفرج الكرب والمسغبّة[1]، أو عوامل أخرى كغزو الجراد للمحاصيل الزراعية و ظلّ يكتسح بلاد المغرب الأقصى بشكل مستمر ، والذي كان لا يترك وراءه إلاّ الأغصان اليابسة فتضرّر بهذا الإنسان و الحيوان معاً، وقد وصف إبن الخطيب هذه الكارثة بقوله : "عظم الجفاف، وعصفت الريح الرجف تنقل الهضب قبل إرتداء الطرف، وتبدأ أعيان الأرض، وتعاجل حلاق لمم النبت ، فصيرت وجه الأرض كمطارح خبث الحديد ، أمّا مضارب البيد يبس واقحلّ ، وعقرا للأرجل وعصيانا على السنابك، وأحرقت ما كان قد نجم من باكر البذر ونشط النبات ودامت ، فاستأصلت الأوراق من الشجر الدهين، الذي لا يسقط وانشقّت البشرات وأثنت الجلود."[2] فهذه العوامل كانت تلحق العطب بإقتصاد المنطقة بشكل عام .

★3/ الثـــروة الحيوانيـــة :

كانت تربية المواشي في بلاد المغرب الأوسط تقوم جنباً إلى جنب مع الزراعة ، أي في نفس المناطق التي سبق التعرّض لها من قبل كانت مناطق رعوية إضافة إلى كونها زراعية ، فالمزارع غالباً ما يعتمد على المحصول الزراعي المقرون بالمنتوج الحيواني ، إذ يعتبر كلّه من أنشطته وإهتماماته .[3]

وقد جاء في كتب الله جلّ شأنه "وَٱلْأَنْعَـٰمَ خَلَقَهَا ۗ لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ وَمَنَـٰفِعُ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ﴿٥﴾ "[4]

و بالفعل فقد كانت لها منافع عديدة فكانت جلودها تستعمل في صناعة القرب ، وتوضع تحت المطحنة وغير ذلك، ويستفاد من حليبها ولبنها ، ويصنعون منه الجبن ويستخرجون الزبدة، وكان يستفاد من صوفها وشعرها وأوبارها في صناعة الملابس والخيام والأغطية، واستعملت الحيوانات للحمل والنقل والركوب وفي الأعمال الزراعية، والحروب ، وكانت تعتبر مالاً فمنها المهر و منها الديّة .

---

(1): تاريخ الجزائر العام ، الجيلالي عبد الرحمن بن محمد ، ج2، دار الثقافة ، بيروت، لبنان ، ط 4 ،1980 م ، ص 186.

(2): ينظر، إلى مقال نشرة الدكتور خالد بلعربي – قسم التاريخ – كلية الآداب و العلوم الإنسانية ، جامعة سيدي بلعباس– الجزائر على شبكة الإنترنت .

(3): ينظر، تاريخ الدّولة الزيانية، حساني مختار، ج 2 ، ص 32.

(4): سورة النحل: الآية 05، وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " ما بعث الله نبياً ورعى الغنم، قالوا: وأنت يا رسول الله ؟ قال: نعم كنت أرعاها على قراريط لأهل مكة ، رواه البخاري ".

و على أية حال ، فقد ذكر صاحب " الإستبصار" أنّ بـــلاد المغـــرب الأوســـط " كثيرة الغنـــم و الماشية طيّبة المراعي " ، وذكر ابن حوقل أنّ لأهلها " الخيل النفيسة من البراذين و البغـــال الفـــره و الإبل والغنم وما لديهم من ماشية البقر وجميع الحيوان الرخيص ."[1]

فالدراسات تشير إلى أنّ هذه العوامل كانت متوفرة في دولة بني عبد الواد فأمطارها ومناخها يساعدان على تربيتها، وبالتالّي كانت أراضي الدولة العبد الوادية في فترة من فترات تاريخها مرتعاً ، ومرعى لمختلف الحيوانات ، وبخاصة الغنم،والحمير،والخيل، والأبقار، وكانت تزاول من قبل القبائل.

- **الأبقـــــــار:**

كانت تربى في المناطق الشمالية من الدولة حيث المراعي الدائمة الخضراء،لأنهّا تتطلب الأعشاب الكثيرة ،وزاد إهتمام الدولة الزيانية بتربيتها خاصة أنّها كانت تغذّي صناعة الجلود في المدن بل وكانت تصدّر للدول الأوربية حيث كان الإقبال عليها كثيراً ،كما كانت ذكورها تستخدم في الزراعة

- **الأغنـــــــام :**

كانت تربى في تاهرت، وكان لشرشال أغنام كثيرة وكذلك المسيلة وأيضاً في تدلس الغنم و البقر موجودة بكثرة وتباع جملتها بالأثمان اليسيرة ويخرج من أرضها إلى كثير من الآفاق ، وكانت تغذّي الحرفيين بالعاصمة العبد الوادية بكميات كبيرة من الصوف .[2]

- **النحـــــــل :**

إهتمّ سكان المغرب الأوسط بتربية النحل ، فذكر ابن حوقل أنّ بربر جزائر بني مزغناي " لهم من العسل ما يجهز عنهم" وأضاف أنّ أهل تاهرت " يكثر عندهم العسل " ، وكانت أرشك " لها بادية يشتارون العسل من الشجر و الأجباح لكثرة النحل بالبلد " وكذلك كانت وهران وشرشال وغيرها...[3]

(1): ينظر، الأوضاع الإقتصادية و الإجتماعية في المغرب الأوسط ، جودت عبد الكريم ص 65.

(2): تاريخ الدولة الزيانية ، حساني مختار ، ص 232.

(3): ينظر جودت عبد الكريم ، ص 67 و أيضا بلعربي خالد ، ص 165.

(4): نفسه ، ص 68 و 165.

- **الخيـــــــول:**

إهتمّت دولة بني عبد الواد أيضاً بتربية الخيول إهتماماً كبيراً ويعود ذلك بالدرجة الأولى لاستعمال وقت الحروب ، كما فعل ذلك السلطان يغمراسن في السهول والهضاب العليا ، ومن أنواع هذه الخيول هناك البربري والزناتي. كما إهتمّوا أيضاً بصيد البحر من أسماك ومرجان وذلك في كلا من مرسى الخرز وتنس .[1]

يعتبر النشاط الفلاحي بدولة بني عبد الواد بمثابة العمود الفقري لإقتصاد هذه الدولة ، لأنّ هذه النشاط تحترفه نسبة كبيرة جدّاً من سكان المنطقة كسبيل من سبل الرزق المباشرة لدى الكثير من الفلاحين الذين فطروا عليها ، إضافة إلى إعتبار هذه المهنة محبّبة لدى المسلمين فنجد عبد السلام التونسي حسين إبن مريم"حسين إبن مريم" عالماً زاهداً ...، يلبس الصوف ويأكل الشعير من حرث يده، والسلاحف البريّة، فحقاً أنّ المنطقة إشتهرت بهذه الحرفة منذ أقدم العصور وأنّ الإسلام حثّ على خدمة الأرض واستنباتها.

كما ساعدت وفرة المراعي الطبيعية على نجاح تربية المواشي بمختلف أشكالها إذ تواجدت في كلّ من الجزائر ووهران وضواحيها ، فبلغت درجة تطوّرها إلى حدّ نقلها وبيعها في بلاد المغرب والأندلس[2]، وخاصة بمناطق الظهير التلّي أين يتواجد الماء و الكلأ.

(1): ينظر، الأوضاع الإقتصادية والاجتماعية ، جودت عبد الكريم ، ص 70، 71.

(2): البستان، ابن مريم ، ص112، ص 127.

(3): الإستبصار ، ص 179.

ثانياً : الصناعـــة:

يعرّف ابن خلدون الصناعة في مقدمته " بأنّها ملكة في أمر عملي فكري" [1] ، أي على عكس الزراعة التي أصبغ عليها صفة الفطرية، فإنّها تتطلّب إحكام العقل ، ويضيف أنّ إزدهارها وتنوّعها غالباً ما يكون مرهوناً ومرتبطاً بشروط أساسية وضرورية أهمّها : عامل الأمن والاستقرار ، وتشجيع الحكّام أو الدولة لها، وتوفّر المواد الخام أو الأوّلية التي تقوم عليها ، وتوفّر الأسواق التي تتلقّفها ، وكذا نجاح القطاع الزراعي بها إلى درجة تأمين الإكتفاء للسكان.[2]

★1/ العوامل المساعدة على ازدهارها :

خضعت الصناعة في دولة بني عبد الواد إلى عدّة عوامل أثّرت وأدّت إلى ازدهارها ومنها :

- **توفر المادة الأوّلية** :

نظراً لأنّ المملكة الزيانية إشتهرت بالإنتاج النباتي والحيواني فأقامت صناعة واسعة في هذين المجالين إعتمدت عليهما، كما توفّرت فيها بعض المعادن التي سمحت بقيام صناعة معدنية ، فالحديد كان يستخرج من منطقة تلمسان [3]، ومن هنين بالإضافة إلى الفولاذ[4] ، وكانت التوتيا تستخرج من جبال الونشريس فمع وجود هذه المعادن إلاّ أنّ الرحّالة كما يشير جودت عبد الكريم لا يشيرون إلى كمية الإنتاج ، وهل كانت كافية لسدّ الحاجة المحليّة؟ إنّ ذكرهم لها يدلّ على أنّها كانت إعتبار ، وهنّ إن لم تكن تسمح بقيام صناعة تغزو الأسواق الخارجية إلاّ أنّها كانت كافية لقيام صناعة تسدّ الطلب المحلي.[6]

وإلى جانب هذه المعادن كانت البلاد العبد الوادية تتوفر على بعض المواد المحلية الأخرى اللاّزمة مثل الصوف و الحرير ، والقطن، والكتّان ، والجلود ، والأخشاب ، والخزف .

---

(1): المقدمة، عبد الرحمن إبن خلدون، ص 315.

(2): نفسه، ص 315.

(3): تاريخ الدولة الزيانية، حساني مختار، ج 2 ،ص 235.

(4): وصف إفريقيا، الحسن الوزان، ج 2 ،ص 15.

(5): نفسه، ج 2 ، ص 45.

(6): ينظر الأوضاع الإقتصادية والإجتماعية في المغرب الأوسط، جودت عبد الكريم ، ص 84.

- **نشاط الحركة التجارية:**

لقد سارت القوافل محمّلة بالسلع والبضائع في جميع الاتجاهات ، كما سبق ذكره ، وهذا ينعكس بدوره على الصناعة، إذ أنّ تصريف السلع يعني صناعة سلع جديدة في حين أنّ كسادها يعني توقف الحركة الصناعية .[1]

- **اتّساع العمران :**

إتّسع العمران في البلاد العبد الوادية أثناء فترة حكم يغمراسن ، فإذا كانت تلمسان " أعظم أمصار المغرب"[2] ، فإنّ مليانة كانت" عامرة ومشرفة... وآهلة "[3] ، هذا إلى جانب المدن التي نشأت في القرن الرابع الهجري ، وإنّ اتّساع العمران هذا يعني إزدياد الطلب على السلع على اختلافها، هذا ينعكس إيجابياً على إزدهار الصناعة خاصة إذا توفّرت القوة الشرائية .[4]

- **النظرة الإسلامية :**

لقد حضّ الله النّاس على ممارسة الصناعة ومختلف المهن ، من خلال الحضّ على العمل ، فقال عزّ وجلّ "وَقُلِ ٱعۡمَلُواْ فَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمۡ وَرَسُولُهُۥ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَۖ وَسَتُرَدُّونَ إِلَىٰ عَٰلِمِ ٱلۡغَيۡبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ ١٠٥ " [5] وقال: " فَٱقۡرَءُواْ مَا تَيَسَّرَ مِنَ ٱلۡقُرۡءَانِۚ عَلِمَ أَن سَيَكُونُ مِنكُم مَّرۡضَىٰ وَءَاخَرُونَ يَضۡرِبُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِ يَبۡتَغُونَ مِن فَضۡلِ ٱللَّهِ وَءَاخَرُونَ يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ..... ".[6]

وفي هذه الآية الكريمة دليل على عمل إبن آدم من خير أو شرّ وهو الذي يجازى به يوم القيامة .

إنّ هذه العوامل المجتمعة ساعدت على قيام صناعة مزدهرة في بلاد الدولة العبد الوادية أثناء مؤسسها يغمراسن بن زيّان .

---

(1): نفسه ، ص 85.

(2): العبر، ابن خلدون، ج 7 ، ص 78.

(3): ينظر الدولة الزيانية في عهد يغمراسن ، بلعربي خالد ، ص 166.

(4): نظم الحكم في دولة بني عبد الواد الزيانية ، بوزياني الدراجي ، ص 218.

(5): سورة التوبة ، الآية 105.

(6): سورة المزمل ، الآية 20.

فالدّولة الزّيانية كغيرها من دول المغرب الإسلامي عرفت تنظيم النشاط الحرفي حيث أنّ أسواقها وعلى الخصوص القيصرية أو الفنادق التابعة لها خصصت بها أجنحة لكل حرفة مثل سوق الوراقين، والفخّارين والعطّارين والصبّاغين والدّباغين وعلى كل حرفة أمين يعتبر صلة بين الحرفيين والدولة ، وهذه الظاهرة نجدها أيضاً عندما تأسست الدولة الجزائرية الحديثة بأسواق مدينة بني مزغنة[1] والظاهر أنّ الصناعيين في الدولة الزيانية كانوا يتميزون عن غيرهم بلباس قصير حسب ما أورده الحسن الوزان[2] الذي زار أراضي الدولة الزيانية في مرحلتها الأخيرة .

ولا تزال إلى يومنا هذا كثير من الأمكنة من أحياء وحارات وأسواق وأبواب وطرق وجوامع وحمّامات بتلمسان تحمل إسم أصحاب الحرفة أو الصناعة التي كانت قائمة بها في العهد القديم مع أنّ تلك الحرف والصناعات تلاشت واضمحلّت حسب ما أورده صاحب باقة السوسان[3] وامتحت بحيث لم يبق لها وجود أصلاً أو لا تزال موجود لكنّ وجودها غير ثابت فهي على وشك الزوال والفناء فمن تلك الأمكنة نضرب بعض الأمثلة :

- **<u>طريق الأرحاء</u>** :

بها عدّة أرحاء تطحن الحبوب لإستخراج الدقيق منها وكانت تلك الأرحاء تحرّكها المياه الغزيرة الجارية في كل مكان وهذه الطريق كانت تصل المدينة من باب المشور الخارجي أو باب التويتة بالقلعا العليا .[4]

- **<u>باب القرمادين</u>** :

وهم صنّاع القرميد من الطين ، حيث بعد جفافه يطلونه باللون الأحمر أو الأخضر اللاّمع وكثيراً ما كانت تغطّى سطوح المساجد والضرائح بوضعه على الألواح الخشبية لتقيها من المطر والبرد والثلج وتغيير الهواء برداً وحراً وهذا الباب لا يزال موجوداً بالشمال الغربي من المدينة.[5]

(1): تاريخ الدولة الزيانية ، الأحوال الإقتصادية و الثقافية ، حساني مختار ، ج 2 ، ص85.

(2): وصف إفريقيا، الحسن الوزان ، ص 58.

(3): باقة السوسان في التعريف بحاضرة تلمسان عاصمة دولة بني زيان ، الحاج محمد بن رمضان شاوش ، ص 323.

(4): نفسه، ص 323.

(5): نفسه، ص 332.

- **جامع الحدّادين:**

كان هذا الجامع بسوق الحدادني التي كانت بالحارة التي لا زالت تسمى بتافراطة إلى يومنا هذا لكن الجامع تهدّم والحدّادون تفرّقوا في باقي أحياء المدينة كالدرّازين والصبّاغين حينما فتح الشارع الوطني أو شارع العقيد لطفي .[1]

- **درب الصبّاغين:**

وهو صانعوا الصابون أو بائعوه ، والظّاهر أنّ هذا الدرب كان خاصاً ببائعي الصابون لأنّ معمله كان بذراع الصابون وهذا الدرب لا يزال موجوداً وبه توجد اليوم الزاوية القادرية الثانية[2].

إنّ ما ذكرناه من أمكنة وأحياء وحارات وأبواب بتلمسان التي تحمل إسم لأصحاب الحرفة أو الصناعة، والتي كانت قائمة في الدولة الزيانية كان من باب المثال لا للحصر لأنّ هناك صنائع مختلفة وكثيرة مازالت بعض الأمكنة تسمّى بها وتشهد على عراقة تلك الصنائع ، فندرك أنّ تلمسان خصوصاً كانت فيما مضى حاضرة للعديد من الحرف والصناعات .

(1): باقة السوسان في التعريف بحاضرة تلمسان عاصمة دولة بني زيان ، الحاج محمد بن رمضان شاوش ، ص 332.

(2): لا تزال أسرة بتلمسان تحمل إسم الصبان .

★2/ المراكز الصناعية بتلمسان الزيانية :

من بين الذين تناولوا الصناعة ومراكز توزيعها بأراضي الدّولة الزيانية الحسن الوزان الذي قال في شأن صنّاعها:" أنهم أناسا أقوياء يعيشون في هناء ومتعة" [1] ، ولعلّ هذا لا يختلف بالنسبة لمناطق أخرى وبالنسبة لبقية مدن الدولة ، وهناك بعض المدن سكانها متخصّصون في نوع من الصناعة مثل العبّاد التي قال عنها الوزان:" الصنّاع معظمهم من الصبّاغين ، كما أنّ تلمسان كانت مشهورة بصناعة المنسوجات التي وصلت شهرتها أغلب أرجاء العالم الإسلامي وعلى الخصوص الكساء المعروف بالسفساري ."[2]

من بين المدن التي ازدهرت فيها الصناعة ، مدينة هنين والتي أورد في شأنها حساني مختار " أنّ... سكانها أشياء متقنة و بينها الأواني الفخارية التي نجد صناعة المنسوجات ، لأنه ذكر بأن هنين كانت تصنع بها أقمشة وزرابي فاخرة ."[3]

ويبدو أنّ الإقبال عليها كثيراً من قبل التّجار الذين يتوافدون على المدينة قبل إحتلالها من طرف الإسبان سنة 1531م.

ومن بين المدن التي اشتهرت بالصناعة أيضاً مدينة شرشال بعد إستقرار الجالية الأندلسية بها حيث عمد هؤلاء إلى الإهتمام بالمنسوجات الحريرية لتطوير هذا النوع من الصناعة وتشجيع زراعة أشجار التوت التي تتوالد بها دودة القزّ التي ينمو على أوراقها الحرير الطبيعي .[4]

وما يقال عن شرشال ينطبق على القليعة التي إستقرّ بها الأندلسيون وشجّعوا بها صناعة الحرير بغرسهم لأشجار التوت على ضفاف وادي الزعفران .

---

(1): وصف إفريقيا ، الحسن الوزان ، ص 56.

(2): نفسه ، ص 58.

(3): ينظر، الأحوال الإقتصادية و الإجتماعية في الدولة الزيانية ، حساني مختار، ص 86.

(4): ينظر بغية الرواد ، يحي ابن خلدون ، ج 1 ، ص 86.

أمّا عن مليانة فكانت هي الأخرى من بين المراكز الصناعية حيث عمد سكانها إلى صناعة المنسوجات الحريرية و على الخصوص الجوخ الذين كان يصدّر منها إلى بقية المناطق.[1]

يضاف إلى ذلك صناعة السروج لأنّ الأراضي المجاورة للمدينة كانت تهتمّ بتربية المواشي وعلى الخصوص الخيول ، وبالقرب منها سوق خميس مليانة الذي كان صنّاعه يصدّرون إليه صناعتهم و على الخصوص السروج لتوافد القبائل عليه .

ومن بين المدن التي إشتهرت بالصناعة مزغران القريبة من مستغانم التي صنّاعها مياسر ، لكن سقوط مدينة وهران في يدّ الإسبان قد أثّر على صناعتهم لأنهم كانوا يصدّرون ما ينتجون إلى سوق وهران ، وعندما سقطت المدينة أثّر ذلك على مجموعة الحرفيين المتواجدين بمزغران وما يقال عنها ينطبق تماماً على مستغانم التي قال عنها الوزان[2] أنّها قريبة منها حيث سكانها إشتهروا بصناعة المنسوجات وقد أثّرت الحروب على حرفييها، وكذلك محاصرة الإسبان لها مراراً زيادة على ضغط قبائل بني هلال ، وبني مزغن بعد تأسسيس الدولة الجزائرية الحديثة .

أيضاً سكان مطغرة يزاولون النشاط الحرفي زيادة على صناعة الفحم الذي كان ينقل إلى مدن الدولة حيث أنّ الفحم كان يجلب من جبلهم إلى هنين وندرومة وتلمسان ، فمن بين الذين كانوا يصنعون الفحم سكان بني ورنيد جنوب تلمسان .

ومن الحرف التي شدّت إليها أعداد كبيرة من اليدّ العاملة النشيطة، نجد حرفة صيد السمك ، بإعتبار أنّ الثروة الحيوانية من السمك كانت متوّفرة فحسب في المناطق الساحلية ، ومناطق الأنهار، فإنّ وجودها بأسواق المدن الداخلية كان نادراً لعدم توّفر وسائل التبريد آنذاك ، غير أنّ الوسيلة الوحيدة التي كانت متّبعة في ذلك الوقت لحفظ المواد التي يخشى تلفها ، وتعفنها من الحوم ، وأسماك كانت تتمثل في التمليح ، والتجفيف أي إضافة عليها كمية كبيرة من الملح ثمّ تجفيفها في مكان ظليل ، وكانت بعض مدن الدولة الزيّانية تتوّفر على أسواق أقيمت خصيصاً لبيع السمك دون المنتجات الأخرى .[3]

(1): ينظر، وصف إفريقيا، الحسن الوزان ، ج 1 ، ص 60.

(2): نفسه ، ج 2 ، ص 32.

(3): ينظر، تحفة النّاظر وغنية الذاكر ، تحقيق على الشنوفي ، المطبعة الكاتولكية ، لبنان، 1967 ، ص 230.

★3/ المنتوجات الحرفية المحليّة المعروضة بأسواق الدولة الزيانية :

لقد كان النشاط الحرفي يحتلّ المرتبة الثانية من حيث الأهميّة في إقتصاد الدولة الزيانية إذ كان يستقطب أعداداً معتبرة من اليدّ العاملة سواء من الأهالي أو من الأسرى المجلوبين من البلاد الأجنبية، فلقد ذكرت المصادر التي أرّخت لهذه الدولة أنّ بعض حكامها كانوا يستعينون بالآلاف العديدة من الحرفيين الأسرى في إنجاز بعض المشاريع الهامّة كتشييد القصور ، وبناء المساجد وتجهيزها .

"فأبو تاشفين الأوّل كان مولعاً بتجبير الدور وتشييد القصور مستظهراً على ذلك بآلاف عديدة من فعلة الأسرى بين نجّارين و بنّائين ، وزلاّجين ، و زوّاقين فخلّد آثاراً لم تكن لمن قبله لا لمن بعده كدار السرور، وأبي فهر ، والصهريج الأعظم " [1]، وأبو حمّو الثاني الذي كانت " دار الصنعة السعيدة تموج بالفعلة على إختلاف أصنافهم وتباين لغاتهم وأديانهم فمن درّاق، ورمّاح ، ودرّاع ، ولجّام، ووشّاء ، وسرّاج ، وخبّاء، ونجّار ، وحدّاد ، وصائغ، ودبـــاج، وغيـــر ذلك فتستك لأصواتهم وآلاتهم الأسماع وتجّار في أحكام صناعتهم الأذهان ، وتقف دون بحرهم الهائل الأبصار ، ثمّ تعرض قومتهم أصيلان كل يوم مصنوعاتهم فيه بين يدي الخليفة أيّده الله ، ويخزن كل بحجارة صنعه المعدّ له وينصف العاملون من أرزاقهم عدلاً هكذا أبداً ".[2]

لقد دلّ النّصيين على أنّ إستعانة الدّولة الزيانية بالحرفيين الأعاجم كان كبيراً، ولا يعلم إن كان مرد ذلك يعود إلى قصر الحرفيين المحليين على الإتيان بما يفعله أمثالهم من الأعاجم القادمين من الأندلس وأوربا ، أو يعود إلى بعض الحرف التي كانت تتطلب إستخدام تقنيات حديثة لم تكن في متناولهم في ذلك العهد ، أو يعود لقصر تحضّر هذه الدولة وبداوتها من ناحية الحرف والصنائع.

وفي الواقع لا يمكن تحديد أسباب هذه الظاهرة ، مع العلم بأنّ الحرفيين من الأهالي لم يكونوا أقلّ كفاءة منهم، وهذا ما تؤكده بعض المصادر التي أتت على ذكر بعض النشاطات الحرفية التي كانت تمارس من طرف الأهالي في العديد من مناطق هذه الدولة، ومثال ذلك ما ذكره الوزان:" أنّ معظـــم

(1): نظم الدر و العقبان، التنسي، ص 140.

(2): بغية الرواد ، يحيى ابن خلدون ، ص 88 .

سكان وهران من الصنّاع و الحاكة ."[1] وذكر ندرومة : " بأنّها كانت مزدهرة لكثرة الصنّاع فيها "[2]، تفسرة * ذكر " بأنّها كان بها حدّادون كثيرون " وهنين قال " بأنّ سكانها يعملون كلّهم تقريباً في القطن والمنسوجات"[4] وأضاف أنّ قلعة هوارة "أنّها كانت تشمل على نحو أربعين داراً للصنّاع والحاكة ." [5]

كما تؤكده أيضاً الأسواق التي إنتشرت بها العديد من دكاكين ومحلاّت الصنّاع ، والحرفيين عارضين مختلف منتوجاتهم التي تفنّنوا في صناعتها ، كما كانت هناك دكاكين ومحلاّت تعرض منتوجات البوادي الحرفية، وتبيع ما صنعته أنامل النسوة الماكثات بالدور والمنازل.[6]

ومن أهمّ المنتوجات الحرفية التي إشتهرت بها الدولة الزيانية هي :

❖ 1 / **المنتوجات النسيجية:**

لقد كانت المنتوجات النسيجية تتنوّع من ملبوس ومفروش وتختلف من حيث نوع المادة المصنوعة منها سواء من صوف ، أو قطن ، أو حرير، أو كتّان ، أو وبر ، كما تختلف أيضاً من حيث الصناعة سواء كان إعدادها يتمّ بالحياكة أو بالخياطة .

فالحياكة أو النسج كما ذكر عبد الرحمن إبن خلدون: " هو إليام الغزل حتّى يصير ثوباً واحداً, أمّا الخياطة فهي تفصيل المنسوج قطعاً يقدرون منه ثوباً على البدن ، وتتعدد أعضائه واختلاف نواحيه، ثمّ يتلائمون بين تلك القطع بالوسائل حتّى يصير ثوباً واحداً على البدن ."[7]

وبناءاً على ذلك يمكن تصنيف المنتوجات النسيجية المعروضة بأسواق الدولة الزيانية على أنّها تشمل الألبسة والأفرشة .

---

(1): وصف إفريقيا- الحسن الوزّان ، ج 2 ، ص 30.

(2): نفسه ، ص 14.

*: تفسرة: تقع جنوب غرب مدينة تلمسان .

(3): وصف إفريقيا – الحسن الوزان ، ج 2 ، ص 24.

(4): نفسه ، ص 15.

(4): نفسه ، ص 26.

(6): تحفة النّاظر وغنية الذاكر ، العقباني ، ص 219.

(7): المقدمة ، عبد الرحمن بن خلدون ، ص 324.

ولقد أتت بعض المصادر على ذكرها ، فيحيى ابن خلدون ذكر " أنّ أهل تلمسان كانوا يحكون الصوف يتغايون في عمل أثوابه الرقاق فتلقى الكساء أو البرنس عندهم من ثماني أواق والأحرام من خمس."[1]

أمّا العقباني فذكر : " أنّ ملبوساتهم كانت من ثياب الصوف والكتّان والقطن "[2] ، فسكان منطقة الونشريس كانوا يصنعون البسط الملوكية التي وصفت بدقّة الجودة ، وبهاء الألوان ."[3]

لقد كانت الدولة الزيّانية تعرف إزدهاراً كبيراً في ميدان الصناعة النسيجية التي أصبحت تمثّل أهمّ صادراتها نحو أوربا والمغربين الأدنى والأقصى ، فقد كانت الثياب الصوفية الفاخرة تحضى بمكانة خاصّة في بلاط الدولة المرينية إذ أنّ الحكام المرينيون وحاشيتهم المقربة لا يلبسون إلاّ منها ، وتميّز إنتاجها بعدّة خصائص أهمّها :

* **خفّة الوزن** : إنّ معظم المنسوجات الصوفية من حنابل وأكسية وثياب الصوف تعرف بخفة وزنها، إذ كانت لا تتعدى ثماني أو تسعة أواق، وبالمقابل كانت تمتاز بمكانتها العالية . زيادة على أنّها تصنع من مواد طبيعية معروفة بنوعيتها الجيّدة من صوف أو ، وبر ، أو قطن ، أو حرير.

❖ 2 / **المنتجات الفخّارية**:

إنتشرت هذه الصناعة في كافة مناطق الدولة الزيّانية التي كانت تتوفر بها المادة الأوّلية، وهي الطين المناسبة والماء ، فاختصت بها النساء وأصبحت تجيدها أكثر من الرجال ، حيث كانوا يزاولنها بأدواتها التقليدية البسيطة من لوحة خشبية وبكرة سحق الألوان ، وفرشاة ارتجالية ، ولم تكن المخرطة تستعمل إلاّ من قبل صنّاع الفخار المحترفين الذين يعملون بالمدن وبالمراكز الحضرية ، كمدينة تلمسان العاصمة التي كانت تتوفّر على أفران لطهي الأواني الفخارية ، والخزفية [4] ، فكانت أسواقها تحفل بمثل هذه الأواني ذات الأشكال المختلفة والأحجام المتباينة، والتي تستعمل في شتّى الأغراض المنزلية ، وكذا في حفظ المواد السائلة أو الجامدة .

(1): بغية الرواد ، يحيى ابن خلدون ، ج 1 ، ص 92.

(2): تحفة الناظر، العقباني ، ص 219.

(3): نفسه ، ص 221.

(4): بغية الرواد ، يحيى ابن خلدون ، ج 1 ، ص 209.

❖ 3/ صناعة السـلال:

كانت هذه الحرفة التقليدية البسيطة منتشرة في معظم الدولة الزيانية ، وكانت تستعمل فيها النباتات التي تنمو في السهوب والصحار مثل : نبات الإسل والحلفاء ، وألياف النخيل ، حيث تعالج هذه الأخيرة وتنسج بطريقة خاصّة لا تخلو من الموهبة والمهارة[1] ، فمنتجات هذا النوع من الحرف تتمثل في السلال بشتّى أنواعها ، والأزياء ، والقراطل التي توضع فيها الفواكه والخضر ، والأسماك أثناء عرضها للبيع.[2] والحصير الذي كان يستعمل في مكان الزرابي، وكذا الأسلّة لسروج النخيل ، والمكانس تصنع من سعف الدوم ثمّ تحمل في قفاف كبيرة أو رزم ، وتباع بأسواق المدن .

نجد أنّ أسواق هذه الدّولة تزدهر بالمنتوجات المصنوعة من المعادن أو المزيّنة ببعض المعادن الثمينة كالركب ، واللجم ، وقوائم السيوف[3] ، والأواني التي كنت تستعمل في الغالب في البيوت ، والحوانيت للتزيين ، فاستعملوها في حفظ بعض المواد كالقوارير لصون الدهن ، وجرت العادة أن تباع بالأسواق الأمشاط والمرايا ، والمكاحل التي تتّخذها النساء للتزيين والأغلبية منها مزينة بالذهب والفضّة[4]، في حين إنتشرت بمدنها الصاغة عارضة مختلف الحلي من ذهب وفضّة ، من عقود وجواهر ، وقلائد ، وأساور وغيرها.[5]

(1): بغية الرواد ، يحيى ابن خلدون ، ج 1 ، ص 211.

(2): تحفة الناظر ، العقباني ، ص 202.

(3): تحفة الناظر ، العقباني ، ص 202.

(4): المعيار، الونشريسي، ج 2 ، ص 501 .

(5): نظم الدر والعقبان ، التنسي ، ص 162.

واشتهرت الدولة الزيّانية ببعض الصناعات الميكانيكية التي تعتمد على الإبداع والإختراع ، ولا يعلم إن كان منتوج هذه الصنائع يوّجه إلى الأسواق ليقتنيه العامة ، والخاصّة أم لا؟ غير أنّ ظاهر الحال يوحي بأنّه كانت تباع بعض المنتوجات الميكانيكية ، كالساعات مثلاً التي كانت ضرورية في معرفة المواقيت .

ولقد ذكرت بعض المصادر على أنّه كان في بلاط أبي حمو الثاني منكانة دقيقة الصنعة في غاية الروعة والجمال[1] صممت من طرف أبي الحسن بن الفحام الذي كان بارعاً في الأعمال الهندسية .[2]

(1): نظم الدر والعقبان ، التنسي ، ص 162.

(2): بغية الرواد ، يحي ابن خلدون ، ج1 ، ص 119.

ثالثـاً : التجـــــارة:

يقتصر معنى التجارة على مدلول اللغة لكلمة "تجارة" فهي تقليب المال لغرض الربح [1]. وقد عرّف العلاّمة ابن خلدون في مقدمته بأنّها "محاولة الكسب بتنمية المال، بشراء السلع بالرخيص وبيعها بالغلاء، أيام كانت السلعة." [2] كما يعرّفها الجرجاني بأنّها عملية شراء شيء ليباع بالربح ويعرف البيع بأنّه مطلق المبادلة.[3] أو كما يختصرها البعض في كلمتين ، إشتراء الرخيص وبيع الغالي ، وبذلك فهي حركة إنتقال السلع داخلياً ضمن الحدود الإقليمية للدولة ، أو خارجياً بعيداً عنها . كما أنّه لا يمكن لأي دولة أن تستغني عن هذا القطاع الحيوي مهما كان ثرائها وغناها ، إذ تكون مضطرة لتصريف الفائض عن حاجتها وجلب ما ينقصها حتى ولو كان من الكماليات التي عادة ما تنتجه نحو قصور السلاطين والملوك والأثرياء .

إشتهر العرب منذ القدم بالتجارة ، فكان الملوك قبل الإسلام تجاراً يبيعون ويشترون ، وكان رؤساء المعابد تجاراً يتاجرون باسم معابدهم فسكان المغرب أصبحوا بمرور الزمن جزءاً من العالم الإسلامي الذي إمتلك طقوس وعوائد تجارية ، وجاء الإسلام ليرفع من قدر التّجارة والتّجار ، فأكدت ذلك بعض الأحاديث النبوية الشريفة [4] ، كما أنّ مزاولة الرسول صلى الله عليه وسلم نفسه للتّجارة شجّع المسلمين عامة على إمتنانها ومزاولتها.

(1): لكشف عن كلمة تجارة في باب الراء تحت "تجر" "تجرا" أو "تجارة" ، القاموس المحيط ، الجزء الأول .

(2): المقدمة ، عبد الرحمن ابن خلدون ، ص 294.

(3): معجم التعريفات، السيد الشريف الجرجاني ، تحقيق ودراسة محمّد صدّيق المنشاوي ، دار الفضيلة ، القاهرة ، ص48.

(4): التّاجر الأمين الصدوق المسلم مع الشهداء " يوم القيامة " أخرجه ابن ماجة و الحكم عن إبن عمر.

★3-1/ أنواع التجّار في المملكة الزيانية :

حسب أبي الفضل الدمشقي بمكن أن نصنف التّجار حسب طريقة عملهم و تكسّبهم إلى ثلاثة أصناف:

➢ 1 / التاجر الخازن :

هو المحتكر للسلع ، يشتريها في مواسمها بأثمان رخيصة لوفرتها وكثرة المعروض منها فينتظر ندرتها وارتفاع أسعارها ليخرجها ويبيعها بأكبر هامش من الربح ، وهو على هذا الأساس على اطلاع عام بما يدور الأسواق وما يحدث بها من تقلّبات في الأسعار.

➢ 2 / التاجر الركاض :

يعرف أيضاً بالتاجر الجوال أو السفار[1]، وهو المنتقل من منطقة لأخرى بحثاً عن سلع يتاجر فيها ، وقد يكون على مستوى محلي أي داخل إطار الدولة الواحدة والذي يتوجّب عليه المعرفة بأسعار المادة التي يتاجر فيها ، أو بين منطقتين مختلفتين ، كما كان الحال بالنسبة لتجّار تلمسان الذين كانوا يجوبون أطراف الصحراء لجلب الذهب وما ندر في بلادهم من المعادن والحلي وغيرها .

➢ 3 / التاجر المجهّز :

يعمل بالتنسيق مع تاجر آخر أو أكثر ، أو أن يتخذ له وكيلاً في مدينة أخرى أو بلد آخر ، فيجهّز إليه السلع ليتولى بيعها ، ثم شراء سلعها يقوم بتصديرها إليه - أي إلى المجهّز- وهذه العملية تتطلب وجود ثقة كبيرة بين التاجرين أو من تتم بينهم العملية[2] ، وقد يلجأ إلى هذه العملية في حالة إحتراف التّاجر لمهنة أخرى ولا يرغبون في التنقل خاصة الفقهاء من أرباب الخطط الرسمية [3]، وهذا ما أدّى

(1): النشاط الإقتصادي في المغرب الإسلامي خلال القرن السادس هجري،موسى عز الدين عمر،دار الغرب الإسلامي ،بيروت، ط 2، 146 هـ/ 2003 م، ص 282.

(2): العلاقات السياسية والإقتصادية للمغرب الأوسط مع إيطاليا وشبه الجزيرة الليبيرية في عهد الدولة الزيانية ، شهادة ماجستير ، نقلاً عن كتاب " الإشارة إلى مجلس التجارة " أبي الفضل الدمشقي ، تحقيق البشير الشريجي ، ط 1 ، مطبعة الغد ، الإسكندرية ، 1977 ، ص ص ، 70-75.

(3): النشاط الإقتصادي في المغرب الإسلامي خلال القرن السادس الهجري ، موسى عز الدين عمر ، ص 281.

إلى ظهور مهنة الوكيل الذي قد يخدم تاجراً واحداً ، أو يفتح حانوتاً يخدم من يطلبه ، وكان كل ذلك يتمّ وفق اتفاق مكتوب لا يتعداه [1].

كما يمكن وصف التّجار على أساس آخر وهو ما يمتلكونه من رأس المال وبوضعهم الإجتماعي و الطريقة التي يستثمرون أموالهم بها ، فمنهم من يستثمرون أقل من مائة دينار ويعملون لصالحهم الخاص ، سواء كانوا مقيمين أو متنقلين ، أما المجموعة الثانية فهم التّجار الذين يستثمرون أكثر من مائة دينار إلى غاية ألف دينار ، أخيراً المجموعة الثالثة وهي التي يفوق مقدار ما تستثمره الألف دينار. [2]

فالتّجار بدولة بني عبد الواد هم إمّا من أصل إسلامي محلي ، أو من الذميين اليهود ، أو من المسحيين واليهود مواطني الدولة الأوربية وأنشط هؤلاء العناصر على ما يبدو كانوا من التّجار اليهود الذين يقومون بتبادل السلع بين أسواق المغرب الإسلامي وكذلك مع أسواق أوربا ، وربّما وصلت بهم مرونتهم إلى قرض المتعاملين معهم ومداينتهم إلى آجال يتّفقون عليها.[3]

كما ويبدو أن التجار المسلمين هم الذين يحتكرون القوافل التجارية نحو إفريقيا السوداء ، بينما يتكفل النصارى واليهود بقطع البحر نحو أسواق أوربا ، غير أنّ البعض من اليهود كانوا متمركزين في بعض القصور الصحروية التي تقع في طريق القوافل المتوجهة إلى بلاد السودان . فكانت السلع التي يتعاملون بها متنوعة بتنوّع الأسواق ، وكانت الأسواق العبد الوادية والمغرب الإسلامي كافة همزة وصل بين أسواق أوربا وأسواق إفريقيا السوداء وهذا كله ساعد على إزدهار أسواق المغرب الإسلامي إقتصادياً. [4]

---

(1): المعيار، الونشريس ، ج 2 ،ص 944.

(2): ينظر، النشاط الإقتصادي في المغرب الإسلامي ، موسى عز الدين عمر ، ص ص 278،279.

(3): ينظر ، نظم الحكم في دولة بني عبد الواد الزيانية ، بوزياني الدراجي ، ص 214.

(4): نفسه ، ص 215.

★3-2/ التجارة مع السودان الغربي[1]:

إنّ امتداد القيافي والقفار إلى أقصى الشمال كان عاملاً أساسياً في غنى سكان تلمسان بفضل التّجارة التي كانت مزدهرة خاصة في العهد الزياني[2]، لأهمية موقع تلمسان الجغرافي ، كانت علاقاتها التجارية قوية مع بلاد المغرب والبلاد الإستوائية[3]، تستورد وتصدر السلع والبضائع المختلفة، حيث أنّها غدت السوق المغربية الكبرى للسودان[4]، فكانت في إتصال مباشر مع سجلماسة والطريقين الرئيسيين العابرين للصحراء : طريق الغرب (لمتونة) التي تربط السوس بالأدرار الموريتانية [5] وطريق الوسط الموصلة إلى تمبكتو وغاو [6].

كان التّجار يرسلون سلعهم من تلمسان ووهران إلى ما وراء الصحراء عن طريق سجلماسة ، كما سبق الإشارة إلى ذلك ، أين تلتقي قوافل المملكة بنظيراتها من المغرب الأقصى لتؤم جميعاً تمبكتو وغانا ، ومع قوافل أخرى تخرج من الصويرة ووادي نون فتؤم هي الأخرى موريتانيا و السنغال و المالي وغانا وغينيا.[7]

وممّا يدل على نجاح وتقدّم التجارة بتلمسان خاصة هو ظهور الشركات التجارية الصحراوية ، إذ ظهرت شركة المقريين ، الذين مهّدوا طريق الصحراء بحفر الآبار وتأمين التّجار متخذين لذلك طبلاً ورايات تتقدم عند المسير.[8]

---

(1): يقصد بالسودان الغربي المنطقة المشتملة على حوض السنغال حالياً وغامبيا وفولتا العليا والنيجر الأوسط ، وقد تكونت في العصر الوسيط من مجموعة من الممالك هي : غانا، مالي ، وسنغاي ، وبرنو.

(2): الأوضاع الإقتصادية والإجتماعية في النغرب الأوسط خلال القرين (9-10م)، جودت عبد الكريم يوسف ، ص 211.

(3): ينظر، نفسه ، ص 211.

(4): العرب هم أول من أطلق كلمة السودان على الأقوام التي تسكن جنوب الصحراء الكبرى وسموا بلادهم بلاد السودان ، أمّا التسمية فقد إستوحوه من لون بشرة عند سكان تلك المنطقة .

(5): مناطق مرتفعة هضابية تنتشر في وسط وشمال موريتانيا الحالية ، يتراوح إرتفاعها ما بين 30 و 500 م فوق مستوى سطح البحر .

(6): الأوضاع الإقتصادية والإجتماعية ، جودت عبد الكريم يوسف ، ص 210.

(7): الأوضاع الإقتصادية و الإجتماعية في المغرب الأوسط،بن عميرة لطيفة،ص ص 84 ، 85 .

(8): جوانب من الحياة الإقتصادية في المغرب الأوسط في القرن 15/9م،الشركة الوطنية للنشر و التوزيع،ص 34.

كما ونجد أن عبد الرحمن ابن خلدون وصف العلاقات التجارية بين السودان وتلمسان قائلاً :" فلا بد لهم من كل سنة من رحلة ... إلى قصور توات وبلاد تمنطيط ، ومع ناجعتهم تخرج قفول التجار من الأمصار و التلول حتّى يحطّوا بتنمطيط ، ثم يذرقون منها إلى بلاد السودان ." [1]

وأقامت الدولة الزيانية علاقات تجارية مع الدول المسسيحية أيضا وكان تحدّدها معاهدات ذات نصوص واضحة[2]، فكان لموانئ الدولة الزيانية دور كبير في نشاط المبادلات التجارية مع العالم الخارجي ومنها "مرسى هنين " ووصفه الحسن الوزان :" هنين... لها ميناء صغير محروس شراعية من البندقية تحقق أرباحاً جسيمة مع تجار تلمسان. " [3]

وأيضاً من الموانئ التي لعبت دوراً كبيراً وهاما في الإقتصادية في عهد الدولة الزيانية ،" المرسى الكبير" الذي قال عنه حسن الوزان:" المرسى الكبير مدينة أسّسها في عصرنا ملوك تلمسان على ساحل البحر المتوسط ، بعيدة ببضعة أميال عن وهران ,...، يمكن أن ترصو فيه بسهولة مئات المراكب و السفن الحربية في مأمن من كل عاصفة أو إعصار" [4] وكانت هذه الموانئ بمثابة شريان نشاطها الإقتصادي ومركز إتصالها بالعالم الخارجي .

(1): المبر، عبد الرحمن ابن خلدون، ج 2 ، ص77 .

(2): الأحوال الإقتصادية للمغرب الأوسط منة خلال كتابات الرحالة والجغرافيين المغاربة مابين 7 و 9 / 13 و 15 م ، المجلة التاريخية ، الفسفاط الإلكترونية للأستاذ علوي مصطفى (أستاذ في جامعة بشار) الجزائر.

(3): وصف إفرقيا للحسن الوزان ، 15.

(4): وصف إفريقيا ، الحسن الوزان ، ص 31.

★3-3/ السلع المتبادلة :

➢ 1 / واردات المغرب الأوسط :

كانت القوافل التي تغادر المغرب الأوسط تعود محملة بالسلع المختلفة ومن جميع الإتجاهات .

فكانت قائمة واردات المغرب من السودان طويلة تتشكل عموما فيما يلي :

* التبـــــــــــــر: وهي مادة ضمن القائمة ، وكانت متوفرة بمنطقة غاو وأودغست وغانا وغيرها، فينقل على ظهور الجمال عبر الصحراء إلى بلاد المغرب .

* العبيـــــــــــد : كان التجار المغاربة يجلبون العبيد نحو المدن الشمالية (المغرب الأوسط من أكبر أسواق النخاسة) ، التي كانت تنتشر بالسودان الغربي ومن أشهر هذه الأسواق سوق مدينة غاو حيث بها سوق من أكبر أسواق النخاسة ، كما أنّ حواضر المغرب الإسلامي ، تلمسان ، تونس ، طرابلس ، فاس ، ... بجاية إلى العبيد المجلوبين من السودان الذين كانوا يستخدمونهم في ميادين مختلفة مثل الصناعة واستخراج المناجم بالملح ... إلخ [1].

* الريـــاش : وخاصة ريش النعام الذي كان يستعمل في حشو الأرائك والمخدّات ، وتتّخذ منه المراوح، وكذا استعماله كمظهر من مظاهر الزينة .

* بيض النعام : أسعاره جدّ مرتفعة لأنه كان يدخل في تركيب الأدوية .

* العـــاج : وهي المادة المكونة لأثياب الفيلة ، تجلب من مناطق الغابات جنوبي السودان الغربي، واستعملت في عدّة أغراض تشكيلية وفي صناعة الأثاث وغالبا ما كانت السلع الكمالية تتجه نحو الأثرياء.

(1): ينظر ، العلاقات الثقافية و التجارية بين المغرب الأوسط والسودان الغربي في عهد دولة بني عبد الواد ، بودواية مبخوت ، رسالة دكتوراه دولة في التاريخ ، تحت إشراف أ.د. عبد الحميد حاجيات ، 2006، جامعة أبي بكر بلقايد ،ص 319.

* **الذهـــب** : ذهب السوادن قد عرف طريقه إلى تاهرت وغيرها من مناطق المغرب الأوسط ، فقد أشار الإدريسي أنّ : " بلاد ونقارة هذه هي بلاد الذهب " ويضيف أن مدينة كوغا أكثر بلاد السودان ذهباً كما يوجد في جالام وبوري وبامبوك ، وتظهر وفرة الذهب في بلاد المغرب الأوسط في صك نقودهم دنانير ، وصناعة الحلي.[1] كما كان التّجار يجلبون الجلود والملح والصمغ من بلاد السودان.

➢ **2 / صادرات المغرب الأوسط** :

نظراً لشهرة بلاد المغرب الأوسط في الإنتاج النباتي و الحيواني وما ينبني عليه من الإنتاج الصناعي، فإن صادرات المغرب الأوسط بالدرجة الأولى تعتمد على هذا الإنتاج ، فقد كانت حبوب تنس " تخرج منها إلى كل الآفاق في المراكب .[2]

فكان يحمل إلى القيروان العسل والسمن والتين[3]، ويشير الإدريسي إلى سير القوافل المحمّلة على الجمال الحاملة لقناطير من النحاس الأحمر والملون والأكسية وثياب الصوف والعمائم والمآزر وصنوف النظم من الزجاج والأصداف والأحجار و ضروب من الآفاوية والعطر وآلات الحديد المصنوع[4] إلى بلاد السودان .

كما تعتبر تجارة المواد الغذائية من أبرز السلع التي كانت تنقل إلى إسبانيا خلال القرن السادس عشر وعلى الخصوص الحبوب ، عندما تكون إسبانيا في أشدّ الحاجة إليها لأن هجرة الأندلسيين إلى دول المغرب الإسلامي قد أثر على الإنتاج الفلاحي في الجهة الجنوبية التي كانت ضمن أملاك دولة بني الأحمر .[5]

(1): الأوضاع الإقتصادية والإجتماعية في المغرب الأوسط ، جودت عبد الكريم يوسف .

(2): الإستبصار ، ص 127.

(3): جودت عبد الكريم يوسف ، ص 215.

(4): وصف إفريقيا ، الإدريسي ، ص 66.

(5): الأحوال الإقتصادية والثقافية ، حساني مختار ، ص 183.

إذاً فاقتصاد الدولة الزيانية كان يقوم على التجارة بالدرجة الثانية الذي يعتبر أهمّ مورد لخزينتها حيث كان يحقّق لها مردوداً كبيراً بلغ ما بين 300 ألف مثقال و 400 ألف مثقال في كل سنة ، هذا يبيّن أن مداخيلها من هذا النشاط كان معتبراً خاصة على مستوى موانئها الساحلية كوهران وهنين والمرسى الكبير ومستغانم ، وبرشك .

الخاتمة:

يتّضح ممّا سبق أنّ هناك عدّة عوامل جعلت عاصمة المغرب الأوسط تشتهر بالزراعة ، وتبرع في الصناعة ، وتنجح في تنشيط المبادلات التجارية ، وتكتشف عمليات البيع والشراء ، فيمكننا إذاً أن نقدم أهمّ النتائج التي خلصنا بها راجين من المولى عزّ وجلّ أن يكون قد وفقّنا في هذا البحث بإعتباره نافذة صغيرة بحوث جديدة تكشف عن أمور دفينة في تاريخ العلاقات الإقتصادية للدولة الزيانية .

➢ ❶ إن الدولة الزيانية نشأت من صلب الدولة الموحدية التي ضعفت وسقطت بضعف سلاطينها فدخلت صراعاً مريراً مع جيرانها الحفصيين والمرينيين أفقدها قوتها العسكرية والإقتصادية وجعلها مطمعاً لقوى خارجية من إسبان وأتراك ,

➢ ❷ قد قامت علاقة جدلية بين الإنتاج الفلاحي وتربية المواشي، وكانت الظروف مواتية لنجاح واتّساع تربيتها ، منها الإزدهار الزراعي وطبيعية البلاد بمراعيها وطبيعة المجتمع ، وهو في الأعمّ قبلي ، والقبائل تهتمّ بتربية المواشي بل هي تعتبرها أموالاً عوض النقود.

➢ ❸ قد ترك هذا الإزدهار آثار إيجابية على الصناعة بالمغرب الأوسط إذ أن الصناعة في ذلك الوقت هي عملية تحويلية للمنتوجات الزراعية والحيوانية ، من هنا نشأت صناعات عديدة ، منها ما يقوم على تجفيف الفواكه أو معالجة الحبوب أو تصنيع الأخشاب ، أو إستغلال النباتات الصناعية في الحصول على النسيج إلى غير ذلك مصنوعات .

➢ ❹ تطوّرت الصناعة في بلاد الدولة الزيانية حتّى أنّ الصانع فقد إنتماءه القبلي ، وحمل الإنتماء إلى الصنعة ، فيقال له : الخرّاز ، الدبّاغ ، الصبّاغ وغير ذلك .

➢ ❺ هذا الإزدهار الصناعي ، تولّد عنه إزدهار ونشاط تجاري سواء في الميدان الداخلي أو الخارجي ، فإنّ إزدهار التجارة أي تصريف السلع يعني طلب سلع جديدة وهكذا ، كان على الصانع أن ليستمر في صناعته مادامت رهن الطلب .

➢ ❻ لقد كان التعامل التجاري بالدولة الزيانية يتمّ عن طريق العملة من دنانير ودراهم ، حيث عمل الحكام الزيّانيين على سكّها بتلمسان العاصمة لتسهيل التعامل التجاري والأكثر من ذلك إقراراً لسلطتهم ، وتجسيداً لسيادة الدولة .

➢ ❼ لقد عكست الأسواق الزيانية مدى الثراء الإقتصادي التي كانت تنعم به هذه الدولة ، بفضل خصبها ، وغناها الطبيعي ، وتنوّع نشاطاتها الحرفية المزاولة من طرف سكانها ، وبفضل موقعها المتميّز كونها إعتبرت منطقة عبور هامة ، ربطت بلاد السودان بسواحل البحر الأبيض المتوسط وأوربا.

➢ ❽ إنّ مكانة تلمسان ضمن المغرب الأوسط هي (تلك) أكسبت الدولة الزيانية في حدّ ذاتها ككيان سياسي يتمتّع بالقوة الإقتصادية .

➢ ❾ إن إزدهار التجارة العبد الوادية مع العالم المسيحي أو مع الضفّة الغربية للمتوسط كان مرتبطاً بدرجة كبيرة أو متوقفة على مدى نجاح إنجازاتها الإقليمية ، خاصة مع السودان الغربي الذي مثل مصدراً أساسياً لإشباع نهم تجار أوربا من الذهب والعبيد وغيرها من السلع التي تتذر في المغرب الأوسط والقارة الأوربية .

➢ ❿ فرغم المآسي والمحن التي عرفتها الإمارة الزيانية ، إلاّ أنّها عرفت نمواً إقتصاديا لاتعبّر عنه الحالة السيّئة تلك ، وهذا ما يمكن تفسيره وإرجاعه لقوة وعزيمة الإنسان البربري وتشبثّه بالحياة .

الملاحق

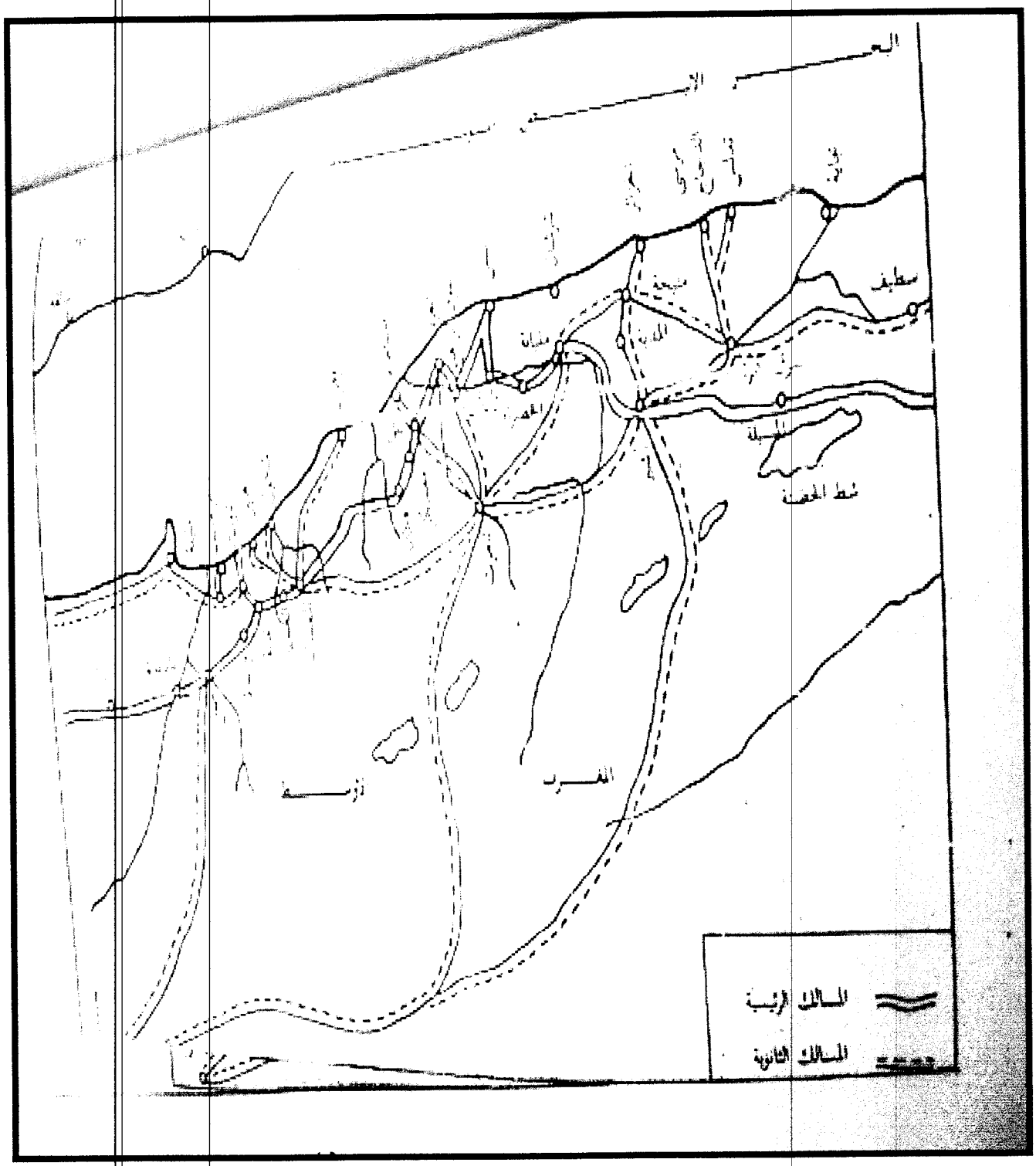

المسالك التجارية في القرن التاسع الهجري

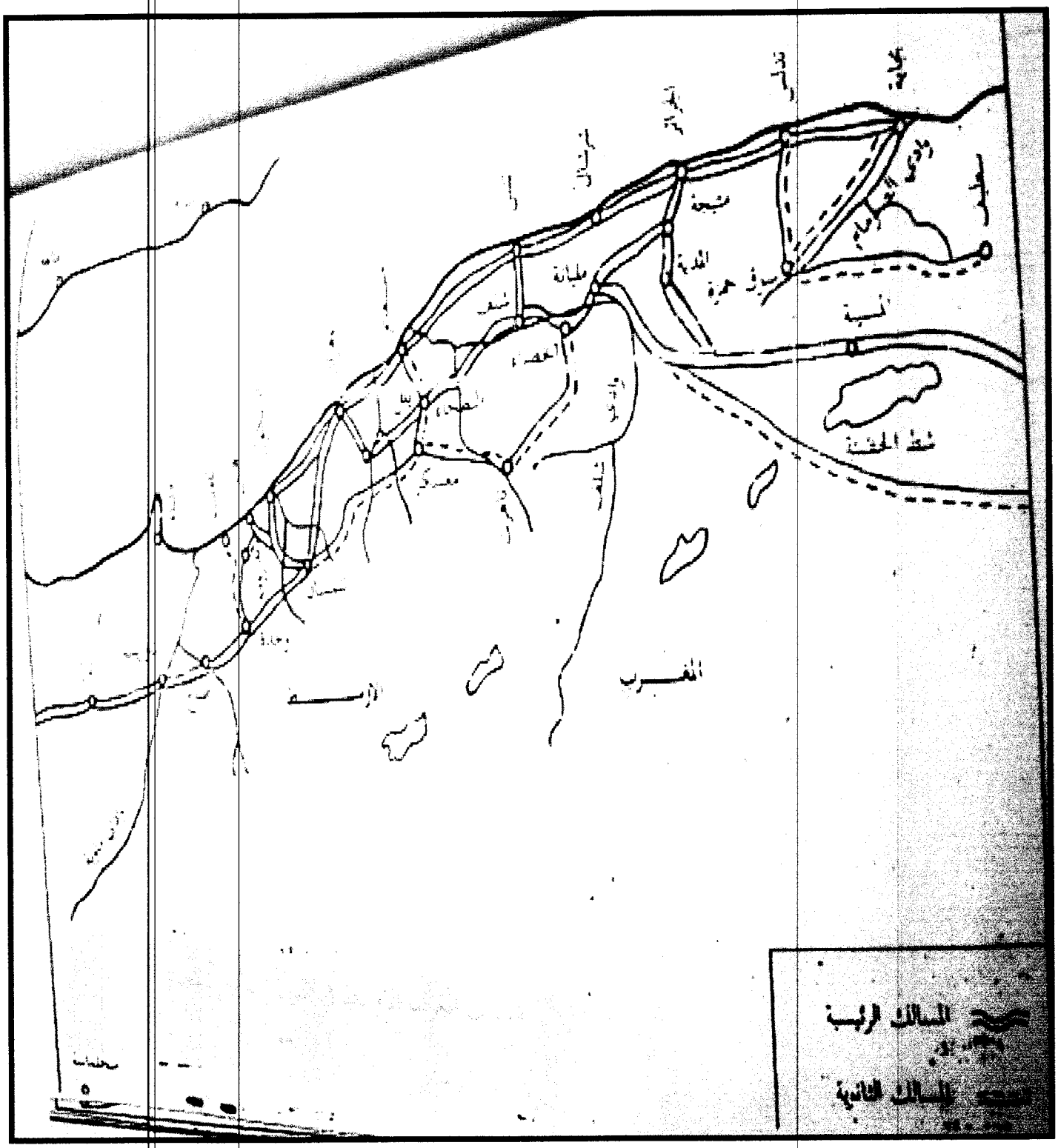

مسالك المغرب الأوسط في القرن السادس الهجري

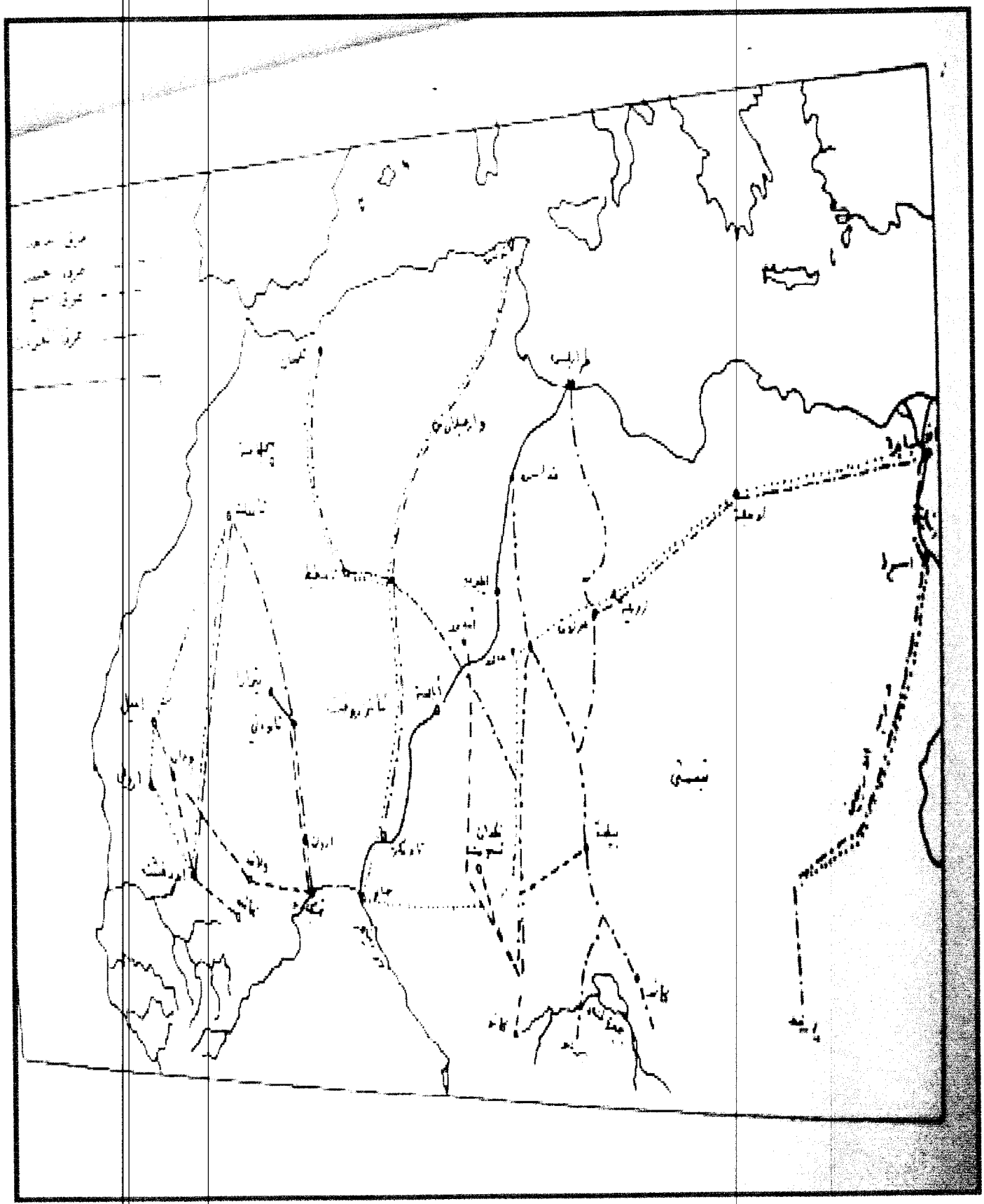

المسالك التجارية للدولة الزيّانية

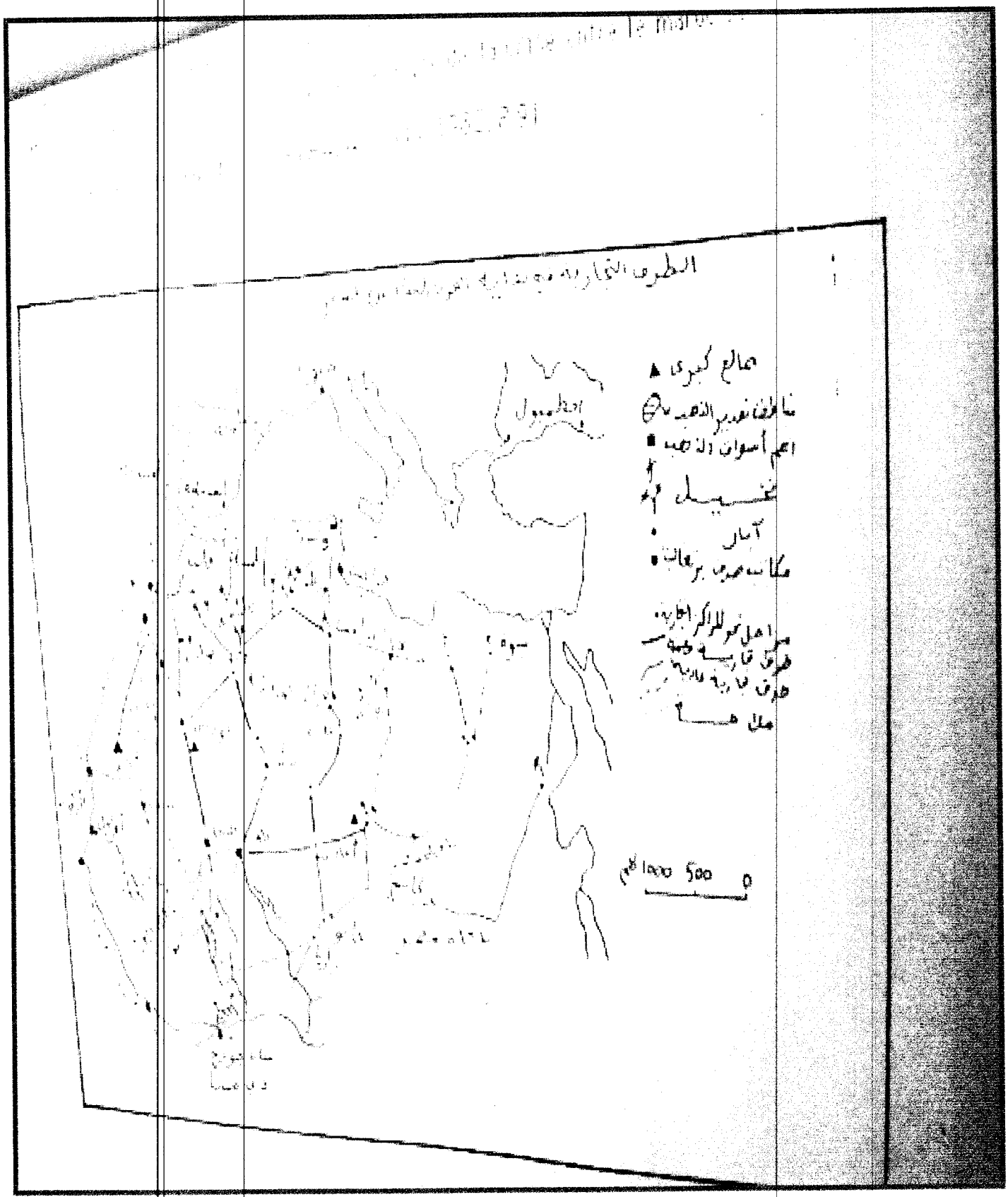

الطرق التّجارية في بداية القرن السادس عشر للدولة الزيّانية

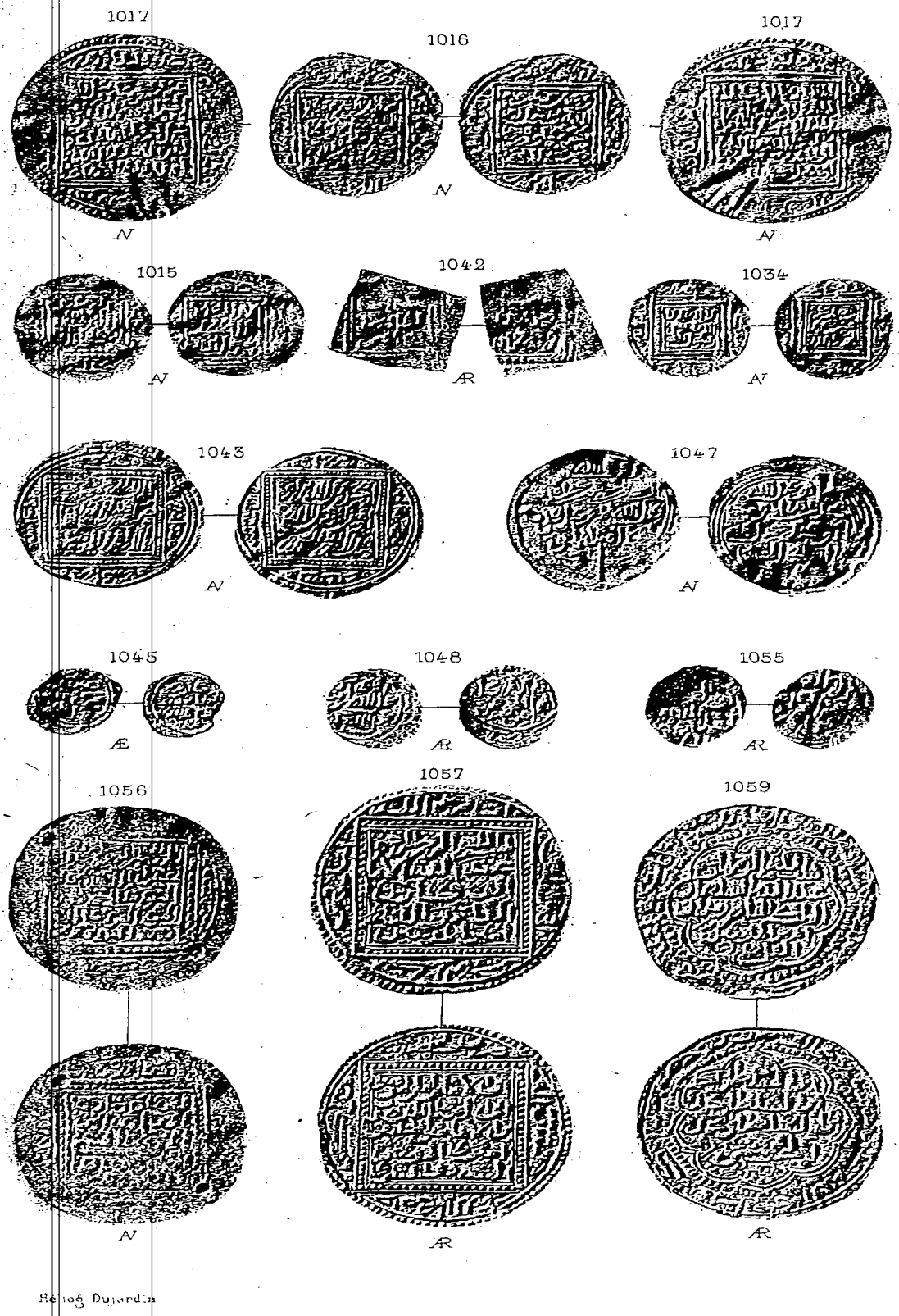

Hénog Dujardin

النقود في العهد الزيّاني

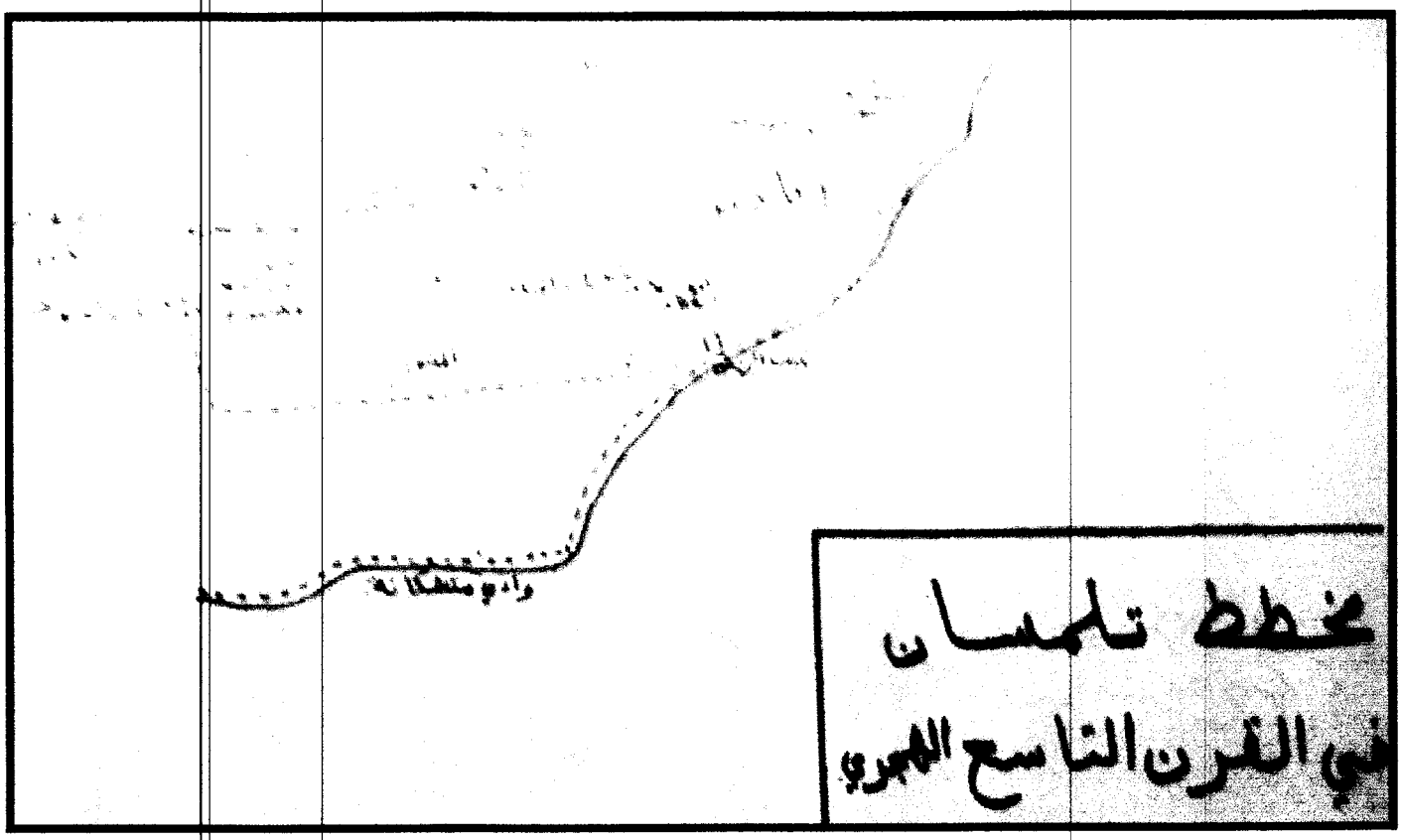

مأخوذة من كتاب تاريخ بني زيّان ملوك تلمسان لمحمد بن عبد الله التنسي

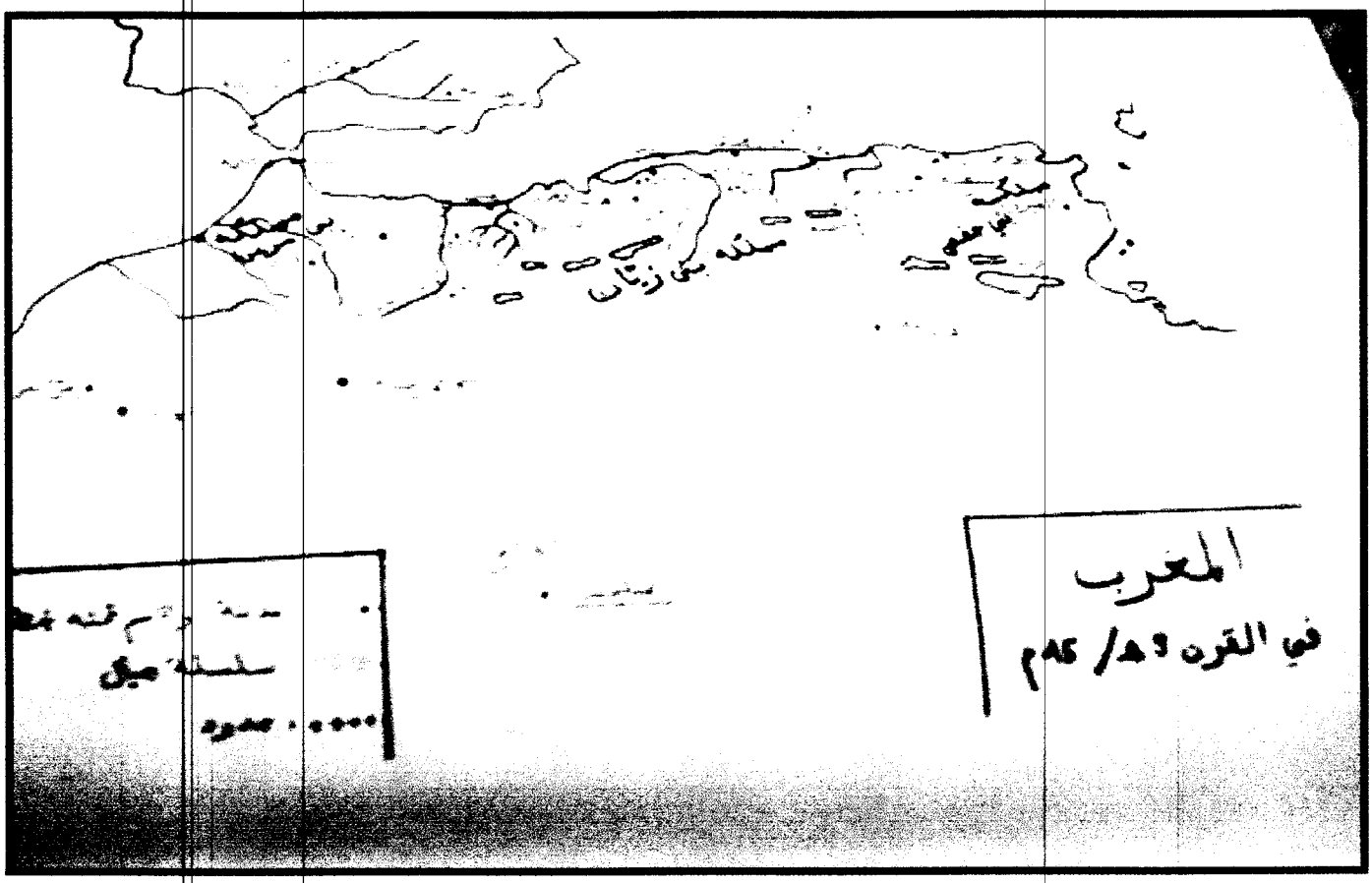

مأخوذة من كتاب تاريخ بني زيّان ملوك تلمسان لمحمد بن عبد الله التنسي

دكّان الخرّاز و أنواع البلاغي

(مأخوذة من كتاب باقة السوسان في التعريف بحاضرة تلمسان عاصمة دولة بني زيّان ، لصاحبه الحاج محمد بن رمضان شاوش)

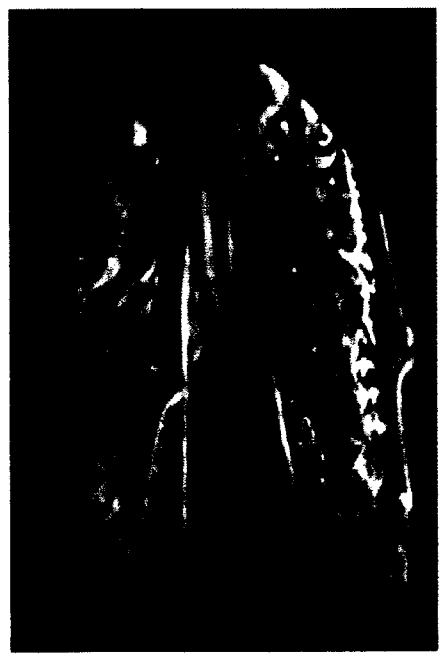

نماذج من الصناعة النحاسية

طابع بريدي جزائري بالعملة الزيّانية

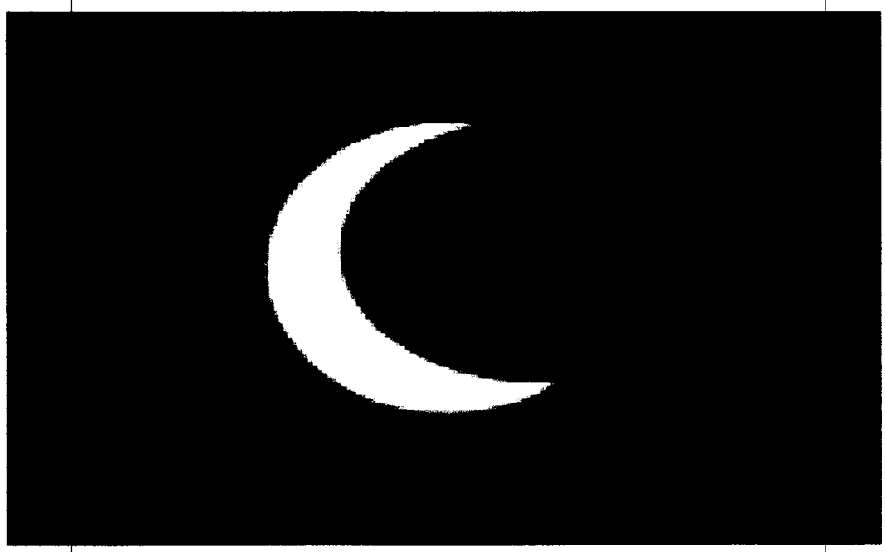

راية المملكة الزيّانية

المصادر والمراجع

قائمة المصادر و المراجع

❖ القرآن الكريم

❖ أولاً : المصادر العربية

01- الإستبصار في عجائب الأمصار، مؤلف مجهول ، تحقيق سعد زغلول عبد الحميد ، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد ، 1976.

02- الإسلام في المغرب والأندلس، بروفتسال ليفي، ترجمة الدكتور السيد محمد عبد العزيز ومحمد صلاح الدين حلمي، مؤسسة الجامعة الاسكندرية.

03- الأوضاع الإقتصادية والإجتماعية في المغرب الأوسط ، عطاء الله دهينة ،المؤسسة الوطنية للكتاب ، 1986.

04- الأوضاع الإقتصادية والإجتماعية في المغرب الأوسط خلال القرنين الثالث والرابع الهجريين/ 9-10 م . جودت عبد الكريم يوسف، ديوان المطبوعات الجمعية ، الساحة المركزية ، بن عكنون ، الجزائر، 1992.

05- باقة السوسان في التعريف بحضارة تلمسان عاصمة دولة بني زيان ، الحاج محمد بن رمضان شاوش، ديوان المطبوعات الجامعية ،نوفمبر 1983.

06- البستان في أخبار علماء و أولياء تلمسان، ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر 1986.

07- بغية الرواد في ذكر الملوك من بني عبد الواد ، يحى ابن خلدون ، تقديم وتحقيق عبد الحميد حاجيات ، ج1 ، الطباعة الشعبية للجيش ، الجزائر 2007.

08- تاريخ الجزائر العام ، الجيلالي عبد الرحمن بن محمد ، ج2، دار الثقافة ، بيروت، لبنان ، ط4،1980م.

09- تاريخ الدولة الزيّانية ، الأحوال والإقتصادية والثقافية ، الدكتور مختار حساني ، ج2 ، دار الحضارة للطباعة والنشر والتوزيع، الطبعة الأولى، الجزائر 2007.

10- تاريخ السياسي لمملكة تلمسان في عهد بني زيان ، د. لخضر عبدلي، ، صفحات خالدة من تاريخنا المجيد، أستاذ التاريخ الإسلامي والحضارة الإسلامية بقسم التاريخ بكلية الآداب ، جامعة تلمسان ، 2007.

11- تاريخ دولة الأدارسة ضمن كتاب نظم الدر والعقيان ، التنسي أبوعبد الله تحقيق الأستاذ عبد الحميد حاجيات، ج1. المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر 1984

12- تحفة النّاظر وغنية الذاكر ، تحقيق على الشنوفي ، المطبعة الكاتولكية ، لبنان، 1967.

13- تلمسان في العهد الزياني (دراسة سياسية، عمرانية ، إجتماعية ، ثقافية)، د.عبد العزيز فيلالي ، الجزء الأول ، موفم للنشر والتوزيع ، الجزائر 2002.

14- الجزائر بين الماضي والحاضر ،أندري فرنيان ، أندري نوشي وايف لاكوست ، ترجمة رابح اسطنبول ومنصف عاشور ، ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر 1984.

15- جوانب من الحياة الإقتصادية والإجتماعية للمغرب في العصر الوسيط، القرن 12/6م ، ناصح محمد ،كلية الآداب والعلوم الإنسانية، الرباط 1888.

16- جوانب من الحياة في المغرب الأوسط (القرن 9 هـ)، محمد بوعياد ، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ، الجزائر 1980.

17- الدوحة المشتبكة في ضوابط دار السكة ، ابن يوسف الحكيم ، تحقيق حسن مؤنس ضمن صحيفة معهد الدراسات الإسلامية في مدريد ، العدد 1 و2 1958.

18- الدولة الزيانية في عهد يغمراسن ، دراسة تاريخية وحضارية (633-681 هـ/1235-1282 م) ، د.بلعربي خالد ، الطبعة الأولى، ديسمبر 2005.

19- دولة بني حمّاد ، عويس عبد الحليم، ط2 ، دار الصحوة للنشر والتوزيع، القاهرة ، 1991.

20- صفة المغرب وأرض السودان ومصر والأندلس ، الإدريسي ، مأخوذة من كتاب نزهة المشتاق في إختراق الآفاق/ مطبعة بريل يدن 1968.

21- طبقات المشائخ بالمغرب ، الدرجيني ، تحقيق إبراهيم طلاي ، مطبعة البعث ، قسنطينة 1974م ، ج2.

22- العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، ابن خلدون عبد الرحمان، مطبعة بيت الأفكار، ج 13 ، ص 149 ، الطبعة الأول ، ديسمبر 2005.

23- القبائل العربية في بلاد المغرب في عصري الموحدين وبني مرين ، مصطفى أبوضيف أحمد عمر، ، ديوان المطبوعات الجامعية الجزائر 1982.

24- الفتوى البحرية والتجارية في البحر الأبيض المتوسط ،أرشيبالد ،تعريب أحمد عيسى،مطبعة مصر،القاهرة، بدون تاريخ.

25- المسكوكات المغربية ، صالح بن قربة ، المؤسسة الوطنية للكتاب ، الجزائر ، 1986.

26- المعيار والمعرّب والجامع المغرب عن فتاوى علماء إفريقية والأندلس والمغرب ، الونشريسي تحقيق مجموعة من الأساتذة بإشراف محمّد حجّي ، ج6 ، دار المغرب الإسلامي ، بيروت 1981.

27- المقتبس من أبناء أهل الأندلس، ابن حيان، تحقيق محمود علي مكي، نشر لجنة أحياء التراث الإسلامي ، القاهرة، 1390هـ/1971 م.

28- نزهة الأنصار في عجائب التواريخ والأخبار، محمود مقيدش ، تحقيق علي الزاوي ، محمود محفوظ ، ج1 ،دار الغرب الإسلامي، بيروت ، لبنان ، 1982.

29- النشاط الإقتصادي في المغرب الإسلامي خلال القرن السادس هجري ، موسى عز الدين عمر ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت ، ط2، 1464 هـ/2003م .

30- نظم الحكم في دولة بني عبد الواد، بوزياني الدّراجي ، ديوان المطبوعات الجامعية ، الساحة المركزية ، بن عكنون ، الجزائر، 1993.

31- نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب ، المقري، ج7 ، دار صادر، بيروت ، طبعة 1968، تحقيق إحسان عباس.

32- وصف إفريقيا ، الحسن بن محمد الوزان الفاسي ، المعروف بليون الإفريقي ، ترجمة عن الفرنسية لكل من محمد مجيد ومحمد الأخضر، الجزء الأول والثاني ، دار الغرب الإسلامي، الطبعة الثانية ، 1983، بيروت، لبنان.

33- وصف إفريقيا ، الوزان، ترجمة محمد حجي ، محمد الأخضر، ج2 ، دار الغرب الإسلامي ، ط2 ،بيروت.

34- بغية الرواد في ذكر الملوك من بني عبد الواد ، يحيى بن خلدون- تقديم وتحقيق عبد الحميد حاجيات، ج1 ،المكتبة الوطنية ، الجزائر, 1980.

ثانيا: المراجع الأجنبية

35- Dozy (R) , histoire de Benzeiyan trad de rawdat el Nisrin de Ibn Ammor, 2eme partie dans le journal asiatique Mai 1944

36- Henri LAVOIX- Catalogue des Monnaies Musulmanes de la bibliothèque National publié par ordre du Ministère du l'Instruction Publique et des Beau – Arts , Imprimerie Nationale. Paris, Août 1891.

37- Lewis PELLAT , Encyclopédie de l'Islam , Paris , 1977 , T2

❖ ثالثاً: الرسائل الجامعية

38- الأوضاع الإجتماعية والإقتصادية للدولة الزيّانية ، حساني مختار ، أطروحة ، جامعة الجزائر 1985-1986.

39- السوق في الدولة الزيّانية،بطيب الهوارية، مذكرة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ والحضـــارة الإسلاميـــة ، 2002-2003، جامعة وهران.

40- العلاقات الثقافية و التجارية بين المغرب الأوسط والسودان الغربي في عهد دولة بني عبد الواد ، بودواية مبخوت ، رسالة دكتوراه دولة في التاريخ ، تحت إشراف أ.د. عبد الحميد حاجيات ، 2006 ، جامعة أبي بكر بلقايد.

41- العلاقات الزيّانية المرينية سياسياً وثقافياً ، هوارية بكاي، مذكرة تخرج ماجستير 2007-2008.

42- العلاقات السياسية و الإقتصادية للمغرب الأوسط مع إيطاليا وشبه الجزيرة الإيبيرية في عهد الدولة الزيانية ، إدريس بن مصطفى ، رسالة ماجستير في التاريخ ، تحت إشراف ، مبخوث بوداواية ، 2006.

43- العلاقة الثقافية بين مدينتي تلمسان وبجاية خلال القرن 7-9 هـــ ، مريم هاشمي ، مذكرة شهادة الماجستير في تاريخ المغرب الإسلامي. تاريخ الجزائر في القديم والحديث ، لميلي مبارك، الجزء الثاني، المؤسسة الوطنية للكتاب إنتاج دار المغرب الإسلامي.

❖ رابعاً: المعاجـــم

44- لسان العرب لابن منظور، دار صادر، ج1، ج12 حرف الألف، ط3، بيروت، لبنان 2004.

45- معجم التعريفات، السيد الشريف الجرجاني ، تحقيق ودراسة محمّد صدّيق المنشاوي ، دار الفضيلة ، القاهرة.

46- معجم البلدان، ياقوت الحموي، ج 1، دار بيروت للطباعة و النشر، لبنان، 1984.

47- القاموس المحيط ، فيروز أبادي ،ج1، دار العلم للجميع ، لبنان ، بدون تاريخ.

❖ خامسا : المجلات و الدوريات

48- الأوضاع الإقتصادية في الإمارة الزيّانية، بن عميرة لطيفة، مجلة الدراسات التاريخية ، جامعة الجزائر ، العدد 08 ، السنة 1994/1993.

49- الأحوال الاقتصادية للمغرب الأوسط منة خلال كتابات الرحالة والجغرافيين المغاربة مابين 7 و 9 / 13 و 15 م ، المجلة التاريخية ، الفسفاط الإلكترونية للأستاذ علوي مصطفى (أستاذ في جامعة بشار) الجزائر.

50- الدوحة المشتبكة في ضوابط دار السكة ، ابن يوسف الحكيم ، تحقيق حسن مؤنس ضمن صحيفة معهد الدراسات الإسلامية في مدريد ، العدد 1 و2، 1958.

❖ سادسا : المواقع الإليكترونية

51- http://kanhistorique.org/Archive/2009/Issue04/Tlemcen

52- http://www.almasalik.com

الفهرس

المقدمة ..... أ-ب-ج

المدخل : نبذة تاريخية حول المملكة الزيّانية

- التعريف ببني زيّان (أصل بني عبد الواد) 01
- نشأة الدّولة الزيّانية 02
- حدود الدّولة الزيّانية 07
  - عاصمتها 09
  - مدلول كلمة تلمسان 09
  - الموقع 10
- نظام حكمها 11

الفصل الأول : مقوّمات الحياة الإقتصادية في الدولة الزيّانية

- **أولا : الطبيعية** 16
  - 1-1 مساحتها 16
  - 1-2 تضاريسها 17
  - 1-3 جبالها 21
- **ثانيا : البشرية والمدنية** 24
  - 2-1 التوزيع السكاني (الأصول العرقية للمجتمع التلمساني) 24
  - 2-2 فئات المجتمع 25
  - 2-3 الحرف والصناعات 28
- **ثالثا : العملة النقدية للمملكة الزيّانية** 34
  - 3-1 الدينار 35
  - 3-2 الدرهم 36
  - 3-3 نماذج من كتابات موضوعية على السكّة الزيّانية 39

الفصل الثاني : الدعائم الإقتصادية للدولة الزيّانية 49

- **أولا : الفلاحـــــــة** 49

1-1 نظام ملكية الأراضي 50

1-2 أراضي الوقـــــــف 52

1-3 الثـــروة الزراعيـــــة 55

- **ثانيا : الصناعـــــــة** 62

2-1 العوامل المساعدة على ازدهارها. 62

2-2 المراكز الصناعية بتلمسان الزيّانية 66

2-3 المنتوجات الحرفية المحلّية المعروضة بأسواق الدولة الزّيانية 68

- **ثالثا : التجـــــــارة** 73

3-1 أنواع التجّار في المملكة الزيانية 74

3-2 التجارة مع السودان الغربي 76

3-3 السلع المتبادلة. 78

خاتمـــــة 78

الملاحـق 78

المصـادر و المـراجع 78